ســــــورة [ألَمْ نَشْرَحْ]؛
تحليل، ومنهجيات

بقلم

د/ محمد سعيد مصطفى الغزال

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

[الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا]الكهف١، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمد عبده ورسوله.

وبعد

فإن أجل ما صرفت إليه العقول والقلوب والأفهام هو العناية بكتاب الله – تبارك وتعالى- قراءةً وحفظاً، وتدبراً وتفسيراً وفهماً، ومن أفضل العلم العلم بالله – تبارك وتعالى- عن الله عز وجل، وقد أكرم الله – تبارك وتعالى – المؤمنين بالقرآن الكريم هدية الخالق إلى أصفيائه من خلقه، أنزله إليهم هادياً، ومنيراً: [كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ]إبراهيم ١، هذا الكتاب أنزله الله تعالى لإزالة الغشاوة عن عين خلقه [كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ] ص ٢٩.

- وقد فضل الله — تعالى- نبيه محمداً بأن أعطاه القرآن الكريم فيه المنهج الإلهي الخاتم، حتى إن النبي وهو يتحدث عن القرآن الكريم وما فيه أبان عن فيض كرم الله — تعالى- عليه بما ورد عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، أَنَّ النَّبِيَّ – ﷺ- قَالَ:"أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمَئِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ " (١)، فكان ما فضل به النبي – ﷺ – المفصل ومنه سورة [ألم نشرح] وهذه السورة على قلة عدد كلماتها ووجازة لفظها إلا أنها حوت عدداً من المنهجيات القرآنية.

١ - مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٨٨/٢٨ رقم ١٦٩٨١، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالةالطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

- وقد كان من سابغ فضل الله - تعالى - علي أن منَّ علي منذ نعومة أظفاري بمعايشة كتاب الله - تبارك وتعالى-، وقد استخرت الله - تعالى في كتابة بحث في المنهجيات القرآنية ؛ فشرح الله - تعالى - لذلك صدري ؛ فشرعت في ذلك مستعيناً بالله — تعالى- على الإبحار في بحر القرآن الكريم لعل الله — تعالى- يجعله شافعاً لي في الآخرة، فوقع اختياري على هذه السورة الكريمة لما فيها من معانٍ دقيقة.

- اتضح من خلال البحث عظيم الفيوضات الإلهية في القرآن الكريم ؛ فهذه السورة على وجازة لفظها حوت من المنهجيات القرآنية منهجيات أربع، من الضرورة بمكان أن يتدبرها المسلمون ليعملوا بها حتى يفتح الله — تعالى - لهم من كنوز هذا الكتاب.

- اعتمدت المنهج التحليلي، والبحث الموضوعي في كتابة هذا البحث.

- وأما طريقة البحث التي اتبعتها في الكتابة فقد فتتبعت السورة آية آية، وكلمة كلمة بتوضيح معانيها، وتفسير المراد منها اعتماداً أساسياً على كتب التفسير المأثور في ذلك.

- كذلك قمت بتتبع المنهجيات القرآنية الواردة في ثنايا السورة وفقاً لترتيب آياتها، مع التأصيل لكل منهجية منها وفق ما ورد في القرآن الكريم.

- عزوت كل آية وردت في البحث إلى موضعها في القرآن بذكر اسم السورة، ورقم الآية.

- خرجت الأحاديث القرآنية التي استشهدت بها في البحث كله، معتمداً على كتب التخريج الأصيلة، كما حرصت على الاستشهاد بالصحيح من السنة النبوية.

- **<u>وقد جاءت خطة البحث كما يلي:</u>**
- قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد، وفصلين وخاتمة، ثم فهرس جامع لموضوعات البحث.
- **<u>أما المقدمة</u>**: فأذكر فيها أهمية الموضوع ومنهج وطريقة البحث.
- **<u>وفي التمهيد</u>**:قمت بالحديث عن السورة إجمالاً من حيث: [التعريف بها — بيان فضلها — الحديث عن نزولها وزمنه وسببه — بيان مناسبتها، وعلاقتها بما قبلها وما بعدها —

تحدثت عن اسم السورة ولماذا سميت به — وذكرت ما ورد من أقول العلماء في بيان عدد آياتها]

- **الفصل الأول: وهو الدراسة التحليلية للسورة:** بحيث أتناول السورة آيةً آيةً من حيث:[شرح مفرداتها- توضيح معاني جملها- ما تهدف إليه تراكيبها من أسرار وأحكام – أوجه المناسبات بين الآيات ؛ مستعيناً فى ذلك بالآيات القرآنية الأخرى ذات الصلة، مع عزو كل آية إلى سورتها – واستعنت أيضاً بسنة النبي – ﷺ – وعزوت الأحاديث إلى مظانها.
- **الفصل الثاني: [المنهجيات القرآنية في السورة]: وجاء هذا الفصل في مبحثين:**
- **المبحث الأول:** وفيه عرضت المراد بالمنهجيات القرآنية.
- **المبحث الثاني:** عرضت فيه للمنهجيات القرآنية الواردة في السورة مع الاستشهاد لكل منهجية قرآنية بما ورد عنها في القرآن الكريم من إشارات.
- ثم جاءت الخاتمة التي أوضحت فيها أهم ماتوصلت إليه من نتائج.
- وذيلت البحث بقائمة لأهم المراجع العلمية التي استعنت بها.
- وأغلقت البحث بفهرس جامع لموضوعات البحث.

والله – تعالى – أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبله مني، وأن يجعله في ميزاني يوم العرض عليه، والحمد لله رب العالمين.

التمهيد:

- أولاً التعريف باسم السورة، وبيان مقاصدها:

سُميت السورة بـ: [أَلَمْ نَشْرَحْ] ؛ إطلاقاً لافتتاحيتها علماً عليها، كما ورد ذلك في كتب الحديث ومعظم كتب التفسير بالمأثور (١)، وإن كان بعض المفسرين أطلق المصدر الصريح [الشرح] علماً عليها ؛ اختصاراً للتسمية (٢)، والأولى في ذلك اتباع المأثور عن أئمة الحديث ؛ لأن ذلك متعلق بالحديث في كتاب الله – تبارك وتعالى.

- وهذه السورة الكريمة جاءت لبيان المعاني التالية:

- **بيان فضل الله** – تبارك وتعالى– ومنته على النبي – ﷺ، ووجوب التحدث بنعمة الله عليه التي هي شرح صدره، وحط أثر الذنوب عن النبي – ﷺ، ورفع ذكر النبي في العالمين.
- **وعد النبي** – ﷺ – بدوام تفريج الكروب، وإزالة العسر دوماً عنه، وبالمتابعة عن أمته.
- **توجيه النبي** – ﷺ – لكيفية الشكر على هذه المنح الإلهية بالعمل لله – تبارك وتعالى، والرغبة إلى ما عنده، وقطع النظر لغيره على كل حال.

---

١ – انظر /الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري ٦ / ١٧٢، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، سنن الترمذي ٥/ ٤٤٢، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق:، أحمد محمد شاكر، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٤/ ٤٩٢، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي،الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ٢٠/ ١٠٤، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

٢ – أنظر / التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ٣٠/ ٤٠٧، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، عدد الأجزاء: ٣٠ (والجزء رقم ٨ في قسمين)، البحر المحيط في التفسير ١٠ / ٤٩٩، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ

- **آياتها وعددها: أجمع العلماء أن آياتها ثمانِ آيات، وليس فيها خلاف بين العلماء في العدد، وأن كلماتها سبع وعشرون كلمة، وعدد حروفها مئةٌ وثلاثة أحرف، ورؤوس الآيات فيها على الكاف، والراء، والباء** (١).

- **بيان فضلها:** هذه السورة الكريمة من المفصَّل - وهو الذي تأتي سوره قصيرةً قريبةَ انفصالِ بعضِها عن بعض، وقد فُضِّل به النبي - ﷺ- على الأنبياء، والذي ورد في بيان فضله حديثٌ عن النبي - ﷺ- بإسنادٍ حسن عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ:" أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمَئِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ، **وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ** (٢).

- **ولم يصح في فضل هذه السورة سوى هذا الحديث السابق،** وأما ما ورد من قولهم في شأن السورة: مَنْ قرأَها فكأَنَّما جاءَنى وأَنا مغتَمٌ، ففَرّج عنى،وقال:يا علىُّ مَنْ قرأَها فكأَنَّما أَشبع فقراءَ أُمَّتى، وله بكلّ آية قرأَها حُلَّةٌ يومَ الحَشْر، **فلا يصحان** (٣).

-**زمن نزولها:**

أُنزلت السورة الكريمة على النبي - ﷺ - في مكة المكرمة، **بعد سورة [وَالضُّحَى] وقبل سورة [وَالْعَصْرِ]** كما أورده السيوطي عن ابن عباس - رضي الله عنهما، وجميعها محكمٌ، وليس فيها ناسخ ولا منسوخ، وهي الثانية عشرة في عداد نزول سور القرآن الكريم (٤).

---

١ - انظر / البيان في عدّ آي القرآن ٢٧٨، المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، المحقق: غانم قدوري الحمد،الناشر:مركز المخطوطات والتراث – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٢ - مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢٨ / ١٨٨ حديث رقم ١٦٩٨٢، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، بتحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرين،الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

٣ - أنظر / بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/ ٥٢٦، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

٤ - انظر / الناسخ والمنسوخ ص ٢٠٠، المؤلف: أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقري (المتوفى: ٤١٠هـ)، المحقق: زهير الشاويش ، محمد كنعان، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ، الإتقان في علوم القرآن ٤٢/١، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م، انظر/ التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ٤٠٧/٣٠، محمد الطاهر بن =

– ولمعرفة **ملابسات المناخ** الذي تنزلت فيه هذه السورة الكريمة يمكننا الاعتماد على ما ورد في سبب نزول سورة الضحى عند البخاري – رحمه الله تعالى– عن جُنْدُبَ بْنَ سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ– فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ – أَوْ ثَلاَثًا –» ؛ فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ، لَمْ أَرَهُ قَرِبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ – أَوْ ثَلاَثَةٍ – فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: [وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى] [وَالضُّحَى ١: ٣] قَوْلُهُ: [مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى] [الضحى: ٣]: « تُقْرَأُ بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ، بِمَعْنًى وَاحِدٍ، أي مَا تَرَكَكَ رَبُّكَ»، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «مَا تَرَكَكَ وَمَا أَبْغَضَكَ» (١)، فيكون نزول سورة الشرح في زمانٍ معالمه الكبرى هي فرح المشركين بفتور الوحي عن النبي – ﷺ، وإصرار المشركين على عناد النبي بملازمتهم الكفر، بالرغم من قناعاتهم بصدقه وأمانته: [وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ] النمل ١٤ ؛ بما مثل ذلك من ضغوطات نفسية هائلة، وعنتٍ قلبي على ما آلت إليه حال أولئك الذين جاءهم بالهداية الكبرى فأصموا آذانهم، وأغلقوا قلوبهم، وعطلوا حواسهم ؛ فجاءت هذه السورة التي نزلت اختصاصاً للنبي – ﷺ بهذه اللمسة الحانية، وهذا الإيناس الإلهي، والود الكريم ممن وعد المؤمنين به:[إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا] مريم ٩٦، وعليه فهذه السورة الكريمة **مكية باتفاق العلماء**، ومن أهم ***خصائص السور القرآنية التي تنزلت في تلك الفترة الزمنية ما يلي***:

١–الاهتمام **بترسيخ العقيدة** بكل قواعدها ومشتملاتها من إيمان بالله واليوم الآخر، وضرورة أن يتحمل الإنسان جزاء اختياره في هذه الحياة.

٢–التوكيد الجازم على الإيمان بالنبي الخاتم، وأن الإيمان بالأنبياء والرسل هو ركن أصيل أركان الإيمان.

٣–بيان ما للرسول – ﷺ – من ود من الله تبارك وتعالى ومنن إلهية وعطايا ربانية على حبيبه وأتباعه.

=محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، تاريخ نزول القرآن ٢١١/١، محمد رأفت سعيد، الناشر: دار الوفاء – المنصورة، مصر، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢م.

١ - صحيح البخاري ٦/ ١٧٢ حديث رقم ٤٩٥٠ كتاب التفسير، باب ما ودعك ربك وما قلى.

٤- بيان **طبيعة المعركة** القائمة بين الحق والباطل، والتأكيد على تأييد الله – تعالى- لأوليائه وأنبيائه تأييداً مادياً بنصرهم على أعدائهم، وتأييدهم معنوياً بقوة كبرى تحملهم على مجابهة قوى الشر مجتمعة دون خوف منها.

٥- **غرس اليقين** في نفوس المؤمنين أنهم يستندون إلى القوة الكبرى في هذا الوجود وهي قوة الله الكبير المتعال ذي البطش الشديد، والأخذ الأليم.

٦- **إطلاق نظر الإنسان في الكون** من حوله ليتفكر فيما خلقه الله – تعالى ؛ ليكون ذلك دليله للإيمان بالله – تعالى والتصديق بنبوة النبي – ﷺ.

٧- **بيان عاقبة المصدقين بوجود الله** – تعالى – والمتبعين لهدي الأنبياء، وبيان عاقبة المكذبين لوجود الله – تعالى – وبعثة الأنبياء.

٨- **عرض قصص الأمم السابقة** وما كان منها مع القضية الكبرى للوجود – قضية الإيمان – وبيان جزاء المصدقين، وعاقبة المكذبين.

وأما علاقة السورة بما ورد قبلها وما ورد بعدها في ترتيب المصحف فيتضح كما يلي:

بداية: من الضروري التعرف على **أهمية علم مناسبة** ذكر السورة مع ما ورد في المصحف قبلها وما ورد بعدها من السور القرآنية.

- وقاعدة الباب القيمة في معرفة هذا العلم هي:" **أَنَّكَ تَنْظُرُ إِلَى الْغَرَضِ الَّذِي سِيقَتْ لَهُ السُّورَةُ، وَتَنْظُرُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْغَرَضُ مِنَ الْمُقَدِّمَاتِ، وَتَنْظُرُ إِلَى مَرَاتِبِ تِلْكَ الْمُقَدِّمَاتِ فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ مِنَ الْمَطْلُوبِ، وَتَنْظُرُ عِنْدَ انْجِرَارِ الْكَلَامِ فِي الْمُقَدِّمَاتِ إِلَى مَا يَسْتَتْبِعُهُ مِنَ اسْتِشْرَافِ نَفْسِ السَّامِعِ إِلَى الْأَحْكَامِ أو اللوازم التَّابِعَةِ لَهُ الَّتِي تَقْتَضِي الْبَلَاغَةُ شِفَاءَ الْغَلِيلِ بِدَفْعِ عَنَاءِ الِاسْتِشْرَافِ إِلَى الْوُقُوفِ عَلَيْهَا**"(١)، وقد عدَّ

١ - انظر / نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٩/١، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الإتقان في علوم القرآن ٣٧٦/٣، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م،

الإمام الفخر الرازي رحمه الله – تعالى – هذا العلم الدليل على إعجاز القرآن، فقال:" وَمَنْ تَأَمَّلَ فِي لَطَائِفِ نَظْمِ هَذِهِ السُّورَةِ وَفِي بَدَائِعِ تَرْتِيبِهَا عَلِمَ أَنَّ الْقُرْآنَ كَمَا أَنَّهُ مُعْجِزٌ بِحَسَبِ فَصَاحَةِ أَلْفَاظِهِ وَشَرَفِ مَعَانِيهِ، **فَهُوَ أَيْضًا مُعْجِزٌ بِحَسَبِ تَرْتِيبِهِ وَنَظْمِ آيَاتِهِ**، وَلَعَلَّ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّهُ مُعْجِزٌ بِحَسَبِ أُسْلُوبِهِ أَرَادُوا ذَلِكَ !!!"(١)

– وبالنظر لسورة " **أَلَمْ نَشْرَحْ** " نجد أنها واقعة بين سورتين مكيتين في ترتيب المصحف، وهما: سورة " **وَالضُّحَى** " التي تسبقها في الترتيب، وسورة " **وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ**" التي تتبعها ترتيباً، وبالتدقيق نجد أن هناك تناسباً رائعاً بين السور الثلاث ومقاصدها.

– ففي كل منها تفصيل لبعض القضايا المجملة في السورتين الأخريين، كما أن فيها إجمالاً لبعض ما تم تفصيله في السورتين الأخريين ؛ على ما يلي تفصيله:

–من حيث الافتتاحية: فقد جاءت السور الثلاث على سَنَنٍ رائعٍ يدل أن هذا الكتاب أُحكم من لدن حكيم خبير، وأنه لوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ؛ حيث بدأت سورة [**وَالضُّحَى**] وسورة [**وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ**] بالقسم ؛ إحداهما قسم بالزمان وأخرى قسم بالمكان كي يشمل القسم الزمان والمكان على مقسمٍ به عظيم، وهو أن الله – تعالى – قد امتن على نبيه محمدٍ – ﷺ بمننٍ متنوعة، ومن ضمن تلك المنن كان ما جاء في سورة [أَلَمْ نَشْرَحْ] من تفصيل نعم الله الكبرى على نبيه الخاتم – محمدٍ ﷺ.

–من حيث الموضوع:

– جاءت سورة:[**وَالضُّحَى**] كأنها **التمهيد** القوي لسورة:[**أَلَمْ نَشْرَحْ**] ؛ حيث تتحدث كلا السورتين عن المنن الإلهية الكبرى على النبي الخاتم – ﷺ.

– ثم **بيان كيفية الشكر** على هذه العطايا، وهو ما وجه الله – تعالى – إليه نبيه – ﷺ – في سورة[**أَلَمْ نَشْرَحْ**] بـ:[**فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ، وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ**].

---

١ – مفاتيح الغيب:التفسير الكبير ١٠٦/٧، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

- **ثم بيان عاقبة من قام بهذا الشكر** وهو أن يكون من **[الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ]**.

- كذلك في سورة [**وَالضُّحَى**] الحديث **عن الود الإلهي** بين الله - تبارك وتعالى - وصفيه محمدٍ - ﷺ، وهو المتمثل في قوله - تعالى:**[مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى]** فجاءت سورة [**أَلَمْ نَشْرَحْ] للتدليل على هذا الود** والذي كانت ثمرته هي شرح صدر الحبيب، ووضع الوزر عنه، ورفع ذكره في العالمين بجعل اسمه - ﷺ- قريناً لذكر الله - تبارك وتعالى - في العالمين، وجعل اتِّباعَه هو الباب الأوسع للولوج إلى طاعة الله - تبارك وتعالى - ونيل رضاه، مع بيان منزلة ومكانة من نال تلك الثمرات بأنه قد ارتفع إلى أعلى المنازل التي أرادها الله - تعالى – لأصفيائه من خلقه، وهي الوصول لتحقيق منزلة:**[لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ]**.

- وفي سورة:[**وَالضُّحَى**] كان **الوعد**: **[وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى]**، وفي **[أَلَمْ نَشْرَحْ]** كان **التفصيل لأوجه هذا الوعد** بعد أن عرض لبعضها في:**[وَالضُّحَى]** والذي تمثل في سورة الشرح بأن شرح صدر حبيبه، ووضع وزره، ورفع ذكره، ووعده بتيسير كل عسر يلقاه.

- ثم كان **التوجيه الإلهي لحبيبه لبيان كيفية الشكر** على المنح الإلهية فكان ذلك مفتتحه في سورة [**أَلَمْ نَشْرَحْ**] بأن ينصب لله – تعالى - على كل حال، ولا يرغب إلا إليه، واستكمل بيان أوجه الشكر على النعم في سورة:[**وَالتِّينِ**] بالتوجيه للإيمان وعمل الصالحات، والعمل لله - تعالى - والقيام بدعوة الخلق لهذا الدين دون الوقوف أمام تكذيبهم كثيراً.

- في سورة **[وَالضُّحَى]** كان الحديث عن **النعم المشهودة الظاهرة**: [أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى، وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى، وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى]، وأما في[**أَلَمْ نَشْرَحْ**] فكان الحديث عن **النعم المعنوية العظمى** وهي: [أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا، عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ، وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ].

- في **[وَالضُّحَى]**كان **الوعد بالآخرة** لبناء التصور في قضية الجزاء:[وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى]، وفي [**أَلَمْ نَشْرَحْ**] كان التوجيه للعمل لذلك أيضاً بقوله: [فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ]، وفي [**وَالتِّينِ]** سيكون **الجزاء** الذي هو: [فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ]

- من حيث خواتيم السور الثلاث:

جاءت خاتمة المعاني في آيات السور الثلاث **متسقة معنوياً** تأخذ بعناق بعضها كما يلي:

- ففي[**وَالضُّحَى**] ختم الله – تعالى – السورة بتوجيه نبيه – ﷺ- إلى رؤية نعم الله عليه، والتحدث بها كوجه **للشكر القولي** ؛ بقوله: [وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ].

- وفي سورة [**أَلَمْ نَشْرَحْ**] كان **التوجيه العملي للشكر** على تلك النعم بقوله: [فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ، وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ].

- وفي [**وَالتِّينِ**] يكون رد توزيع هذه النعم، والتوفيق لشكرها إلى حكمة أحكم الحاكمين، وليس إلى استقلالية العبد في أمر الهداية عن عطاء الله وفق حكمته الأزلية فيما يفعل، بقوله: [أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ].

الفصل الأول: التفسير التحليلي للسورة

– المقطع الأول: المنن الإلهية على النبي الأعظم- ﷺ- (بسم الله الرحمن الرحيم أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤)) [أَلَمْ نَشْرَحْ ١: ٤]

لقد اختص الله – تبارك وتعالى- نبيه محمداً – ﷺ – بعدد من النعم التي امتن بها عليه – ﷺ – حيث شرح صدره لدين الله – تبارك وتعالى- وألقى عن كاهله وزر ما حدث منه قبل تشريفه بالرسالة، ورفع ذكره في العالمين، كما سيرد تفصيله فيما يلي:

– قوله – تعالى-: **[أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ]** أي: قد شرحنا قلبك يا محمد لرسالة الله – تعالى- التي كلفك بحملها وتبليغها للعالمين ؛ وقد جاءت الآية الكريمة على صورة الاستفهام التقريري، فكأنه – تبارك وتعالى- يقول لنبيه – ﷺ -: قد شرحنا لك صدرك، وذلك أن الاستفهامَ إذا دخل على النفي قَرَّره ؛ فصار المعنى: قد شَرَحْنا، ولذلك عَطَفَ عليه الماضي، ومثلُه قوله – تعالى- [أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ] الشعراء: ١٨ ([1]).

– والأصل في الفعل **شرح** أنه يأتي بمعنى " فَصْلُ أَجْزَاءِ اللَّحْمِ بَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ" وَمِنْهُ الشَّرِيحَةُ لِلْقِطْعَةِ مِنَ اللَّحْمِ، وَالتَّشْرِيحُ فِي الطِّبِّ، **وَيُطْلَقُ عَلَى انْفِعَالِ النَّفْسِ بِالرِّضَى بِالْحَالِ الْمُتَلَبِّسِ بِهَا**، و شَرَح اللهُ صدرَه للأمر: حبَّبه إليه، سرَّه به، وطيَّب به نفسَه ؛ لقوله – تعالى: **[فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ]**، وأما قوله تعالى:[وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا] فيراد به: ولكن من فتح صدره للكفر([2]).

– وتقديمه الجار والمجرور في قوله – تعالى: **[لَكَ]** يوحي بأن هذا الأمر فيه اختصاص للنبي – ﷺ – بذلك، دون من سواه من بقية الخلق، فضلاً عما فيه من الإبهام والإيضاح

١ – انظر/ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ١١/ ٤٣ المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.

٢ – انظر / التحرير والتنوير ٣٠/ ٤٠٧، معجم اللغة العربية المعاصرة ٢/ ١١٨٢، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م

وذلك في كل موضع ذكر فيه **لك** في السورة، كأنه قال: قد شرحنا لك،ثم جاء ما يوضح مبهم هذا المنشرح له وهو صدره (١)، وذكر الصدر بدلاً عن القلب على سَنن العرب في استخدام محل الفعل للتعبير عما يوجد في الصدر والمقصود به هو شرح القلب.

- وقد يكون المراد من شرح الصدر ما ورد في الأثر عن ذكر حادثة شق صدره – ﷺ – عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ – ﷺ – أَتَاهُ جِبْرِيلُ – ﷺ – وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ – يَعْنِي ظِئْرَهُ – فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ، قَالَ أَنَسٌ: «وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ». (٢).

- قوله تعالى: **[وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ] الشرح ٢، ٣**

- ووضعنا أي وحططنا،الحَطُّ هو الوَضْعُ، حطَّه يَحُطُّه حَطّاً فانْحَطَّ، والحَطُّ: وضْع الأَحْمالِ عَنِ الدَّوابِّ، وحطَّ اللهُ عَنْهُ وِزْرَه فِي الدُّعَاءِ: **وضَعَه**، مَثَلٌ بِذَلِكَ، **أي خفَّفَ اللَّهُ عَنْ ظَهْرِكَ مَا أَثْقَلَه مِنَ الوِزْر**، يُقَالُ: حَطَّ اللَّهُ عَنْكَ وِزْرَكَ وَلَا أَنْقَضَ ظهرَك (٣).

- **والوزر**: هو الحِمل الثقيل المثقل لِلظهْرِ، وَالْجمع أوزار ثمَّ يتَصَرَّف ذَلِك فِي الذُّنُوب والآثام (٤)، وعليه فالآية الكريمة وجهٌ من أوجه المنة الإلهية على النبي – ﷺ، وهو بيان أن

---

١ - انظر / الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤/ ٧٧٠، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

٢ – المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ = **صحيح مسلم** ١/ ١٤٧ حديث رقم ١٦٢ المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣ – انظر لسان العرب ٧/ ٢٧٣ المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

٤ – تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم ١/ ٣٣١، المؤلف: محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨هـ)، المحقق: د: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، الناشر: مكتبة السنة – القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ – ١٩٩٥.

الله – تعالى – حط عن النبي – ﷺ – الأثر المعنوي لأفعاله قبل البعثة، وأيّا ما كان **ففي الكلام استعارة تمثيلية،** لتقريب المراد المعنوي من الآيات، والوضع ترشيحٌ لها([1]).

– وقد فسر بعضهم الوزر بأنه الشرك أو الذنوب التي كانت قبل البعثة، وبعضهم فسره بما كان يقع من النبي – ﷺ – مما يهم به الشباب كما حدث قبل البعثة وغير ذلك (٢)، لكن القول بأنه الشرك مردود على من قاله لأن النبي – ﷺ – ما تلبس به قط، حتى قبل أن يبعث كان متخلصاً لله – تعالى – من كل أفعال الجاهلية وما فيها ؛ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ –يَقُولُ: «مَا هَمَمْتُ بِقَبِيحٍ مِمَّا يَهُمُّ بِهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ مِنَ الدَّهْرِ كِلْتَاهُمَا **عَصَمَنِي اللَّهُ مِنْهُمَا،** قُلْتُ لَيْلَةً لِفَتًى كَانَ مَعِي مِنْ قُرَيْشٍ بِأَعْلَى مَكَّةَ فِي غَنَمٍ لِأَهْلِنَا نَرْعَاهَا: أَبْصِرْ لِي غَنَمِي حَتَّى أَسْمُرَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ بِمَكَّةَ كَمَا يَسْمُرُ الْفِتْيَانُ، قَالَ: نَعَمْ، فَخَرَجْتُ، فَلَمَّا جِئْتُ أَدْنَى دَارٍ مِنْ دُورِ مَكَّةَ سَمِعْتُ غِنَاءً، وَصَوْتَ دُفُوفٍ، وَمَزَامِيرَ، قُلْتُ: مَا هَذَا ؟ قَالُوا: فُلَانٌ تَزَوَّجَ فُلَانَةَ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَهَوْتُ بِذَلِكَ الْغِنَاءِ، وَبِذَلِكَ الصَّوْتِ حَتَّى غَلَبَتْنِي عَيْنِي، فَنِمْتُ فَمَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ، فَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي، فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ؟ فَأَخْبَرْتُهُ، ثُمَّ فَعَلْتُ لَيْلَةً أُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ، فَخَرَجْتُ، فَسَمِعْتُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقِيلَ لِي: مِثْلُ مَا قِيلَ لِي، فَسَمِعْتُ كَمَا سَمِعْتُ، حَتَّى غَلَبَتْنِي عَيْنِي، فَمَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي، فَقَالَ لِي: مَا فَعَلْتَ؟ فَقُلْتُ: مَا فَعَلْتُ شَيْئًا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ: " **فَوَاللَّهِ، مَا هَمَمْتُ بَعْدَهُمَا بِسُوءٍ مِمَّا يَعْمَلُهُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِنُبُوَّتِه**"([3]).

---

١ – انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١٥/ ٣٨٩، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

٢ – انظر تفسير الطبري ٢٤/ ٤٩٠: ٤٩٣

٣ – **حديث حسن،** أورده ابن حبان في صحيحه المسمى: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١٤ / ١٧٠، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب=

- وقد يكون ذلك إشارة إلى **إعانة الله** – تعالى- نبيه وحبيبه محمد – ﷺ – **على مشقات الرسالة**، وثقل التكليف بها، فإن الله – تعالى – وجه نبيه إلى التزود لحمل أعباء الحق الذي كلفه بقوله: [يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ، قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا، نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا، إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا، إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا] المزمل ١: ٦.
- وقد ورد في بيان وجه من أوجه هذا الثقل عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ لِرَسُولِ اللهِ – ﷺ فَقَالَ: "اكْتُبْ [لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ][النساء: ٩٥] [وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ] [النساء: ٩٥] " فَجَاءَ عَبْدُ اللهِ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُحِبُّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَكِنْ بِي مِنَ الزَّمَانَةِ (١) وَقَدْ تَرَى، وَذَهَبَ بَصَرِي، قَالَ زَيْدٌ: **فَثَقُلَتْ فَخِذُ رَسُولِ اللهِ – ﷺ عَلَى فَخِذِي، حَتَّى خَشِيتُ أَنْ تَرُضَّهَا** ؛ فَقَالَ: "اكْتُبْ [لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ][النساء: ٩٥] (٢).

= الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: **شعيب الأرنؤوط**، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م، **وقد حكم عليه الشيخ شعيب الأرنؤوط بأنه حسن**.

-كذا ذكره الهيثمي في موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ٥١٥/١ رقم ٢١٠٠ باب في عصمته – ﷺ، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: محمد عبد الرزاق حمزة، الناشر: دار الكتب العلمية.

١ – الزَّمَانَةُ: كَسْرُ الْيَدِ وَالرِّجْلِ خَاصَّةً، انظر: غريب الحديث ٢/ ٥٤٨، المؤلف: إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق [١٩٨ – ٢٨٥]، المحقق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، الناشر: جامعة أم القرى – مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥

٢ – **حديث صحيح**،أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٣٥ / ٤٨٠، حديث رقم ٢١٦٠١، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: **إسناده صحيح على شرط الشيخين**.

- وقد يكون ذلك إشارة للحالة التي عايشها النبي - ﷺ - أثناء فترة انقطاع الوحي عنه والتي تنزلت السورة في أعقابها، وهي هم النبي - ﷺ - أن يلقي بنفسه من أعلى الجبل بعد أن انقطع عنه الوحي كما ورد في الحديث: ".....وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيمَا بَلَغَنَا، فَغَدَا مِنْ أَهْلِهِ مِرَارًا لِكَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ جِبَالِ الْحَرَمِ، فَكُلَّمَا أَوْفَى ذِرْوَةَ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ وَتَقِرُّ نَفْسُهُ وَيَرْجِعُ، فَإِذَا طَالَ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ فَإِذَا أَوْفَى عَلَى ذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ "(١)، **والأصل في ذلك أن يقال إنَّ الله - تعالى - وضع عن حبيبه محمد - ﷺ - كل ما من شأنه أن يرهق قلبه، ويحيل سعادته إلى العنت والتعب، من جميع أوجه ما سبق بيانه.**

- **[الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ]**: أي وضعنا عنك يا محمد الثقل الذي أتعب ظهرك فأرهقه ؛حتى كاد يسمع له صوت النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك لثقله- وهو مثَلٌ لما كان يثقل على رسول الله - ﷺ ويغمه (٢)، ذلك أن للذنب أثراً معنوياً في قلب الإنسان من التعب يشبه الألم الحسي للأثقال على ظهر حاملها ؛كما قال الله - تعالى: [وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ] العنكبوت ١٣

- قوله تعالى: **[وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ] الشرح ٤**، أي رفعنا ذكرك بإطلاق !!! فذكرك دائمٌ غير منقطع، ولهذا الرفع في ذكر النبي - محمد ﷺ - وجوه متنوعة تحدث عنها المفسرون، لكن ورد حديث بسندٍ ضعيفٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ،

١ - مستخرج أبي عوانة ١/ ١٠٢، المؤلف: أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري الإسفراييني (المتوفى: ٣١٦هـ)، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، الإيمان لابن منده ٢/ ٦٨٩ المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦

٢ - انظر / الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤/ ٧٧٠، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

قَالَ: "أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: إِنَّ رَبِّي وَرَبَّكَ يَقُولُ لَكَ: كَيْفَ رَفَعْتُ ذِكْرَكَ؟ قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ، **قَالَ: إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ معي**" (١).

– **وأوجه رفع الله – تعالى– ذكر النبي محمدٍ متنوعة،** فقد أعلى ذكره في الملأ الأعلى، وفي الأرض،، وفي اللوح المحفوظ من قبل أن يوجد النبي خَلقاً وفي هذا الوجود كله من **وجوه:**

- من ذلك أن **قرن الله – تعالى– بين ذكره – تبارك وتعالى– وذكر نبيه محمد** – ﷺ، فلا تقبل الشهادة إلا بالاقتران بين اسمه – تعالى وبين حبيبه محمد –ﷺ – وذلك في الشهادة، والتشهد والأذان والإقامة والخطب والمقدمات والخواتيم بين الملوك والأمراء والرؤساء، بل يلهج بذكره في رحم الوجود كله في كل ساعة من ساعات الزمن، وذلك في الآذان، الذي ملأ الأفاق تبعاً لتحرك وقته من مكان إلى مكان، فيظل الكون كله يردد بين جنباته ذكر الحبيب – ﷺ، مقترناً بذكر الله – تبارك وتعالى.
- ومن ذلك **وصفه تبارك وتعالى لحبيبه بألقابٍ مضافةٍ إليه** – تبارك وتعالى – للتشريف:
- حيث ورد **وصفه بـ [رَسُولَ اللَّهِ] في ثلاثة عشر موضعاً في القرآن الكريم.**
- ومن ذلك **مناداته بوصف النبوة** كقوله: [**يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ**] حيث وردت في ثلاثة عشر موضعاً في القرآن الكريم(٢).
- ومن ذلك أيضاً أن **أخذ الميثاق على جميع الأنبياء، وأقوامهم أن يؤمنوا بمحمد ويعززوه وينصروه:** [وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ

---

١ – **حديث ضعيف كما علق عليه الشيخ شعيب الأرنؤوط بقوله: إسناده ضعيف،** في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٨/١٧٥ رقم ٣٣٨٢ بسبب دراج – وهو ابن سمعان أبو السمح– في حديثه عن أبي الهيثم – وهو سليمان بن عمرو والليثي– ضعف.

٢ ـ الأنفال [٦٤ ــ ٦٥ـ ٧٠]، التوبة ٧٣، والأحزاب [١ـ ٢٨ ــ ٤٥ـ ٥٠ـ ٥٩] والممتحنة ١٢، والطلاق ١، والتحريم [١ـ ٩]

جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ] آل عمران ٨١.

- ومن ذلك أيضاً **أن جعل جميع الأنبياء قبله مبشرين بالمنهج الإلهي الخاتم الذي جاء به** النبي محمد – ﷺ ؛ فنوح يقول لقومه: [فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ] يونس ٧٢، وإبراهيم قال عنه الله: [إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ] البقرة ١٣١ – ١٣٢، وقال:[مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ] الحج ٧٨، وفي عيسى نزل قول الله – تعالى:[وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ] المائدة ١١١، وفي حق لوط وقومه نزل قول الله– تعالى:[فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ] الذاريات ٣٦
- ومن ذلك أن **جعل رسالته هي المتممة للمنهج الخاتم** ؛ كما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ، قَالَ: إِنَّ " مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي،كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ"([1]).
- ومن ذلك أن **قرن الله – تبارك وتعالى– بين طاعته وطاعة محمد** ﷺ كما قال في غير ما موضع من القرآن :[قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ] آل عمران ٣٢، وكما قال [يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ] النساء ٥٩، وكما قال [يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ] الأنفال ٢٠، وغيرها من المواضع التي تكاثر ورودها في القرآن الكريم، والتي

---

١ - حديث صحيح رواه البخاري في صحيحه ٤/ ١٨٦ رقم ٣٥٣٥.

تأبى قبول طاعة الله تعالى دون طاعة النبي الخاتم ﷺ، والتي هي من أعظم نعم الله تبارك وتعالى على صفيه ووليه سيد ولد آدم.

****

المقطع الثاني من السورة: أعظم نعم الله على المؤمنين ملازمة اليسر للعسر.

– **قوله تعالى: [فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا] أَلَمْ نَشْرَحْ ٥، ٦**

– **العسر** هو شدة الصعوبة: يقال عَسُرَ الْأَمْرُ عُسْرًا مِثْلُ قَرُبَ قُرْبًا، وَعَسَارَةً بِالْفَتْحِ فَهُوَ عَسِيرٌ أَيْ صَعْبٌ شَدِيدٌ وَمِنْهُ قِيلَ لِلْفَقْرِ عُسْرٌ وَعَسُرَ الْأَمْرُ عَسَرًا فَهُوَ عَسِرٌ مِنْ بَابِ تَعِبَ وَتَعَسَّرَ وَاسْتَعْسَرَ كَذَلِكَ وَعَسِرَ الرَّجُلُ عَسَرًا فَهُوَ عَسِرٌ أَيْضًا، واليسر هو السهولة واللين، يقال: اليُسْرُ واليَسارُ والمَيْسَرَةُ والمَيْسُرَةُ، كُلُّهُ: السُّهولة (١).

– وعلى ذلك قال العلماء إن المراد من الآيتين الكريمتين هو أن من أعظم نعم الله – تعالى – على عباده أن قرن بين حلول الشدة على المؤمنين وتيسير الله – تعالى – عليهم هذه الشدة.

– وقد جاء هذا المقطع من السورة بين المقطع الأول والمراد منه تعداد نعم الله – تعالى- على نبيه – ﷺ، وبين المقطع الأخير من السورة وهو في توجيه النبي – ﷺ- وأمته من بعده للعمل على شكر تلك النعم التي امتن بها عليهم ؛ تيسيراً عليهم في أمر الشكر ؛ وبياناً لرحمة الله – تعالى – بهم في تقديره ملازمة اليسر للعسر، والذي من أعظم التيسير فيه هو تيسير أمر الدعوة والقيام بواجبها العظيم، وكأنه بعد تكليف الله – تعالى – نبيه القيام بأمر الدعوة إليه ورد الناس إلى دينه قد تسرب لقلب النبي أن هذا الأمر – مع ما رآه النبي من إعراض قومه عنه، وفرحهم بفتور الوحي عنه – عسير ؛ فجاء قوله – تعالى–ذلك ؛ لبيان أن ذلك كله مما سييسره الله – تعالى – عليك أنت وأمتك من بعدك، وأنه لا يتركهم

١ – انظر لسان العرب ٥/ ٢٩٦، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ٢/ ٤٠٩، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

مع العسر دون أن يمدهم باليسر ؛ وطمأنةً لقلوبهم حتى لا يقنطوا من رحمة الله – تعالى – فتظل قلوبهم متعلقةً بالله، وأبدانُهم عاملةً لشكره على نعمه.

– وفي بيان **مناسبة** الآية لظرف نزولها ورد أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يُعَيِّرُونَ – رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْفَقْرِ، وَيَقُولُونَ: إِنْ كَانَ غَرَضُكَ مِنْ هَذَا الَّذِي تَدَّعِيهِ طَلَبَ الْغِنَى جَمَعْنَا لَكَ مَالًا حَتَّى تَكُونَ كَأَيْسَرِ أَهْلِ مَكَّةَ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – حَتَّى سَبَقَ إِلَى وَهْمِهِ أَنَّهُمْ إِنَّمَا رَغِبُوا عَنِ الْإِسْلَامِ لِكَوْنِهِ فَقِيرًا عِنْدَهُمْ، فَعَدَّدَ اللَّهُ– تَعَالَى عَلَيْهِ مِنَنَهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَقَالَ: [أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ]الشرح: ١، ٢، أَيْ مَا كُنْتَ فِيهِ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، ثُمَّ وَعَدَهُ بِالْغِنَى فِي الدُّنْيَا لِيُزِيلَ عَنْ قَلْبِهِ مَا حَصَلَ فِيهِ مِنَ التَّأَذِّي بِسَبَبِ أَنَّهُمْ عَيَّرُوهُ بِالْفَقْرِ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ دُخُولُ الْفَاءِ فِي قَوْلِهِ: فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً كَأَنَّهُ — تَعَالَى – قَالَ لَا يَحْزُنْكَ مَا يَقُولُون وَمَا أَنْتَ فِيهِ مِنَ الْقِلَّةِ، فَإِنَّهُ يَحْصُلُ فِي الدُّنْيَا يُسْرٌ كَامِلٌ، واستدلوا لذلك بوجود الفاء المسماة **الفاء الفصيحة**، وهي الداخِلةُ على جملةٍ مُسَبَّبة عن جُملةٍ غير مَذْكورةٍ ([1]).

– **وقد أفاض العلماء في تخريج السر من إعادة الآية كما هي على ما يلي:**

- منهم من قال إن ذلك من **باب التوكيد اللفظي** ؛ لتقرير المعنى في النفس، وتثبيت المراد بها في قلب السامع، وهو أسلوب معهود في العربية ؛ كقوله تعالى:[فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ] حيث تكررت في سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرة، وكقوله تعالى: [وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ] حيث تكررت في سورة المرسلات أحد عشر مرة، وغيرها وكل ذلك سيراً على سَنن العرب في سبك لغتهم، وتحقيقاً لغرض بلاغي مغاير للظاهر ([2]).
- وقال آخرون بل إن صياغة العسر على التعريف، وصياغة اليسر على التنكير **يفيد مغايرة النكرة الثانية للأولى** فيكون ذلك أبعث على الأمل، واحتجو لذلك بما ورد في الرِّوَايَةُ

---

١ – انظر تفسير الرازي ٢٠٨/٣٢، معجم القواعد العربية ٤٥٣، المؤلف: عبد الغني بن علي الدقر (المتوفى: ١٤٢٣هـ).

٢ – الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ١٠٧/٢٠، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ» وَقَدْ رُوِيَ بِإِسْنَادٍ مُرْسَلٍ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى خَلَقْتُ عُسْرًا وَاحِدًا، وَخَلَقْتُ يُسْرَيْنِ، وَلَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ (١).

- وأولها بعضهم بأن **اليسرين مختلفان اختلاف تنوع** ؛ فالأول يسر الدنيا، والثاني هو يسر الآخرة، ومعلوم أن يسر الآخرة بالنسبة لعسر الدنيا لا وجود معه للعسر قط ؛ وتقريره: أنَّ العربَ إذا أَتَتْ باسمٍ ثم أعادَتْه مع الألفِ واللامِ كان هو الأولَ نحو: «جاء رجلٌ فأكرمْتُ الرجلَ» وكقولِه تعالى: [كَمَآ أَرْسَلْنَآ إلى فِرْعَوْنَ رَسُولاً فعصى فِرْعَوْنُ الرسول]المزمل: ١٥، ١٦، ولو أعادَتْه بغير ألفٍ ولامٍ كان غيرَ الأول ؛ فقوله:[إِنَّ مَعَ العسر يُسْراً] لَمَّا أعاد العُسْرَ الثاني أعادَه بأل، ولَمَّا كان اليُسْرُ الثاني غيرَ الأولِ لم يُعِدْه ب أل، **فدل على مغايرة اليسر الثاني للأول فصار في الآية يسران أمام عسر واحد**..... وإنما كان العُسْرُ واحداً لأنه لا يخلو: إمَّا أَنْ يكونَ تعريفُه للعهدِ وهو العسرُ الذي كانوا فيه فهو هو؛ لأنَّ حكمَه حكم زيد «في قولك:» إنَّ مع زيد مالاً، إنَّ مع زيد مالاً «وإمَّا أَنْ يكونَ للجنسِ الذي يَعْلَمُه كلُّ أحدٍ فهو هو أيضاً، وأمَّا اليُسْرُ فمنكَّرٌ مُتَناوِلٌ لبعض الجنسِ، وإذا كان الكلامُ الثاني مستأنفاً غيرَ مكررٍ فقد تناوَلَ بعضاً غيرَ البعضِ الأولِ بغيرِ إشكال» (٢).

****

المقطع الثالث من السورة: توجيه النبي إلى هيئة شكر الله على ما سبق من النعم [فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ] الشرح٧، ٨

- **وجه تعلق هذا المقطع بما قبله:** جاء هذا المقطع الكريم من السورة متسقاً ومتعلقاً بما ورد قبله من الآيات ؛ ذلك أنه - تبارك وتعالى - في المقطعين السابقين عدد نعمه - تبارك وتعالى - على نبيه، وفي المقطع الأوسط وعده بنعمة عظيمة ممتدة مع النبي

---

١ - المستدرك على الصحيحين ٢/ ٥٧٥، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠

٢ - انظر / الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ١١/ ٤٦، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق

والمؤمنين إلى ما شاء الله – تعالى- وهي أن وعدهم بتمكين اليسر لهم مما يلحقهم من أمور عسيرة، ومن ثم لاجرم جاء **هذا المقطع الأخير من السورة كأنه التكليف لأوجه العمل على شكر تلك المنن**، حتى يزيدهم الله - تعالى - منها اعمالاً لوعده – تعالى - لهم: [وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ] إبراهيم ٧

– **قوله تعالى: [فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ، وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ] أَلَمْ نَشْرَحْ ٧، ٨**

– **الفراغ** في اللغة هو: الْخَلَاء، يقال: فَرَغ يَفْرَغ، ويَفْرُغ، فراغاً وفُروغاً: وفَرِغَ يَفْرَغ، وَفِي التَّنْزِيل: [واصبح فُؤَاد أم مُوسَى فَارِغًا] القصص ١٠، أَي: خَالِيا من الصَّبْر، وَفِعْلُ فَرَغَ يُفِيدُ أَنَّ فَاعِلَهُ كَانَ مَمْلُوءًا بِشَيْءٍ، وَفَرَاغُ الْإِنْسَانِ: مَجَازٌ فِي إِتْمَامِهِ مَا شَأْنُهُ أَنْ يَعْمَلَهُ (١)، وعلى ذلك فالمراد: فإذا خلوت مما أنت فيه من عمل مشغول به فافعل ما يتلى عليك.

– وقوله تعالى: [**فَانْصَبْ**] **أي أقم نفسك بين يديه في العبادة ابتغاء تحصيل الثواب والقرب**، وإن أعياك ذلك فاعلم أن فيه الخير لك.

– وفي تأويل فانصب وقراءتها تعددت الآراء بحسب إعرابها، من ذلك ما أورده بعضهم من أوجه غير متواترة في القراءة لها، حيث وجهها بعضهم على أنها " فانصِب" بكسر الفاء ووجهها أن المراد بها تنصيب علي - رضي الله عنه - خليفة للمسلمين من بعده، **وهذا التوجيه مردود بالقراءة المتواترة**، فضلاً عن إمكانية احتجاج أهل السنة على من قال بذلك أن الأمر حتى لو كان ورد متواتراً في ذلك فإن مفعول انصب مبهماً يقرره فعل النبي وتوجيهه في آخر حياته المؤمنين أن يأمروا أبا بكر ليصل بالناس في دلالة واضحة عن رضاه - ﷺ - لأبي بكر خليفةً بعده للمسلمين، وهو ما تلقته الأمة بالقبول، واجمعت عليه آراء الصحابة جميعاً دون منازع(٢).

---

١ - انظر/ المحكم والمحيط الأعظم ٥/ ٥٠٤، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م التحرير والتنوير ٣٠/ ٤١٦

٢ - انظر / تفسير الألولوسي = روح المعاني ١٥/ ٣٩٢، البحر المحيط ١٠/ ٥٠١.

- **وقد تعددت أوجه تفسير الصحابة للمفروغ منه والمنصوب إليه في الآية،** وجميعهم يتحدث عن أعمال العبادات المختلفة وفقاً لما له أولوية لدى كل منهم.

- ففريق يرى أن المراد من الآية إذا فرغت من أعمال الخلق فعليك أن تنصب نفسك في أعمال العبادة من صلاة وذكر وغيره.

- وغيرهم يقولون إذا فرغت من أمر الدعوة نهاراً فانصب نفسك في صلاة الليل تزوداً بالقيام على متطلبات الدعوة.

- وغيرهم يقول إذا فرغت من أمور الحركة بهذا الدين، والدعوة إليه والجهاد في سبيله فانصب نفسك للصلاة، والذكر([1]).

- **والأولى في ذلك حمل اللفظ على عمومه،** فإنه توجيه عام دون تعلق بمظهر معين من مظاهر العبادة فيظل على عمومه ما لم تصرفه قرينة لغير ذلك، قال الطبري - رحمه الله- تعالى: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ، أَمَرَ نَبِيَّهُ أَنْ يَجْعَلَ فَرَاغَهُ مِنْ كُلِّ مَا كَانَ بِهِ مُشْتَغِلًا، مِنْ أَمْرِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، مِمَّا أَدَّى لَهُ الشُّغْلَ بِهِ، وَأَمَرَهُ بِالشُّغْلِ بِهِ إِلَى النَّصَبِ فِي عِبَادَتِهِ، وَالِاشْتِغَالِ فِيمَا قَرَّبَهُ إِلَيْهِ، وَمَسْأَلَتِهِ حَاجَاتِهِ، وَلَمْ يُخَصِّصْ بِذَلِكَ حَالًا مِنْ أَحْوَالِ فَرَاغِهِ دُونَ حَالٍ، فَسَوَاءٌ كُلُّ أَحْوَالِ فَرَاغِهِ، مِنْ صَلَاةٍ كَانَ فَرَاغُهُ، أَوْ جِهَادٍ، أَوْ أَمْرِ دُنْيَا كَانَ بِهِ مُشْتَغِلًا، **لِعُمُومِ الشَّرْطِ فِي ذَلِكَ، مِنْ غَيْرِ خُصُوصِ حَالَ فَرَاغٍ، دُونَ حَالٍ أُخْرَى** ([2]).

- **ومن بديع ما ورد في الآية أنها تجعل المسلم غير متعلق بأمر هزلي أبداً ؛** فالمسلم لا ينبغي له أن يرى إلا في عمل لآخرته، أو عمل لدنياه، والآية الشريفة من جوامع المعاني في القرآن الكريم كما قال العلماء، وَفِي قَوْلِهِ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ، حَلٌّ لِمُشْكِلَةِ الْفَرَاغِ الَّتِي شَغَلَتِ الْعَالَمَ حَيْثُ لَمْ تَتْرُكْ لِلْمُسْلِمِ فَرَاغًا فِي وَقْتِهِ ؛ لِأَنَّهُ إِمَّا فِي عَمَلٍ لِلدُّنْيَا، وَإِمَّا فِي عَمَلٍ لِلْآخِرَةِ، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: " أَنَّهُ مَرَّ عَلَى رَجُلَيْنِ يَتَصَارَعَانِ، فَقَالَ لَهُمَا: مَا بِهَذَا

---

١ - انظر تفسير القرطبي ٢٠ / ١٠٩، تفسير ابن كثير ٨ / ٤١٩

٢ - تفسير الطبري ٢٤ / ٤٩٩.

أُمِرْنَا بَعْدَ فَرَاغِنَا "، وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: " إِنِّي لَأَكْرَهُ لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَكُونَ خَالِيًا سَبَهْلَلًا(1) لَا فِي عَمَلِ دُنْيَا وَلَا دِينٍ " وَلِهَذَا لَمْ يَشْكُ الصَّدْرُ الْأَوَّلُ فَرَاغًا فِي الْوَقْتِ(2).

– **قوله تعالى: [وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ]**

– الفعل رغِب يتعدى بنفسه إلى مفعوله يقال رغبت الشيء إذا طلبته وقصدته، كما يُعدّى بحرف الجر إلى، كما في الآية الشريفة فيكون المراد به: ترجَّاه، وابتهلْ وتضرّعْ إليه (3) ورغب في الشيء: اهتم به وتمسك، ورغب عن الشيء أي كرهه، وتركه ومنه قول الله- تعالى: [وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ] البقرة ١٣٠.

– **وهذه الآية الكريمة متعلقة بما قبلها تعلقاً كاملاً** ؛ كأنه – تبارك وتعالى – أرشد نبيه، ومن خلفه المؤمنين أن يجعلوا رغبتهم إلى الله – تعالى – وقصدهم الأعظم هو تخليص النية في كل عمل يقومون به لله رب العالمين، سواء كان الأمر متعلقاً بأعمال الدين أو أعمال الدنيا، فيجب جعل ذلك منهجية عامة في كل ما تفعله.

****

١ – **سبهللاً**: أي: فارغ العقل لا يدري ماذا يفعل ولا ما هو مطلوب منه، أنظر تهذيب اللغة ٥/ ٢١٠، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م

٢ – انظر / تفسير الأوسي ١٥ / ٣٩٢، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٨ / ٥٧٩، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ

٣ – معجم اللغة العربية المعاصرة ٢/ ٩١٠، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، معجم الصواب اللغوي ١/ ٤٠٥

الفصل الثاني: المنهجيات القرآنية الواردة في السورة الكريمة

التمهيد: حول المقصود بالمنهجية القرآنية:

- المِنهج لغة: جاء في المعاجم اللغوية أن المادة اللغوية (ن هـ ج) تدور حول البيان والتوضيح ؛ وأن المنهج والمنهاج هو الدليل الذي يوضح الطريق الصواب ([1])؛ قال الله – تعالى:[لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ] المائدة ٤٨ ؛ قال المفسرون: " وَالْمِنْهَاجُ: الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ، وَهُوَ هُنَا تَخْيِيلٌ أُرِيدَ بِهِ طَرِيقُ الْقَوْمِ إِلَى الْمَاءِ..... وَيَصِحُّ أَنْ يُجْعَلَ لَهُ رَدِيفٌ فِي الْمُشَبَّهِ بِأَنْ تُشَبَّهَ الْعَوَائِدُ الْمُنْتَزَعَةُ مِنَ الشَّرِيعَةِ، أَوْ دَلَائِلُ التَّفْرِيعِ عَنِ الشَّرِيعَةِ، أَوْ طُرُقُ فَهْمِهَا بِالْمِنْهَاجِ الموصّل إِلَى السَّمَاء، فَمِنْهَاجُ الْمُسْلِمِينَ لَا يُخَالِفُ الِاتِّصَالَ بِالْإِسْلَامِ، فَهُوَ كَمِنْهَاجِ الْمُهْتَدِينَ إِلَى الْمَاءِ، وَمِنْهَاجُ غَيْرِهِمْ مُنْحَرِفٌ عَنْ دِينِهِمْ، كَمَا كَانَتِ الْيَهُودُ قَدْ جَعَلَتْ عَوَائِدَ مُخَالِفَةً لِشَرِيعَتِهِمْ، فَذَلِكَ كَالْمِنْهَاجِ الْمُوَصِّلِ إِلَى غَيْرِ الْمَوْرُودِ (٢).

- والقرآن الكريم يمثل للمؤمن – وسيظل كذلك- الكتاب الجامع لكل مناهج النظر، والعمل الإنساني الراشد في جميع ميادين الحياة المختلفة ؛ لأنه يعطي التصورات الصحيحة فيما يخص صالح الإنسان في معاشه ومعاده، حول مركزية علاقة الإنسان بكل ما حوله، وبيان علاقته بالله – تبارك وتعالى- خالِقه، وبيان علاقته بأخيه الإنسان على اختلاف دينه وأصله، وبيان علاقته بالكون من حوله، وبيان علاقته ببقية المخلوقات في الكون: العاقل منها وغير العاقل، المشاهد منها والغيبي، وذلك كله وصولاً في النهاية لهدايته التي هي المقصد الأسنى لنزول القرآن الكريم ؛ لقوله – تعالى:[الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ] إبراهيم ١

- وعليه فالمنهجية القرآنية يراد بها طريقة القرآن الكريم في بيان وتوضيح القضايا الكلية التي تهم الإنسان في طريق سيره إلى الله – تعالى ؛ قياماً بوظيفة القرآن الممتدة في هداية الناس لله رب العالمين ؛ عملاً بقوله – تعالى: [قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ

---

١ - انظر / بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١٢٨/٥، لسان العرب ٢/ ٣٨٣.
٢ - انظر التحرير والتنوير ٢٢٣/٦

مُبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] المائدة ١٥، ١٦.

- ولأمر ما يدلل على أن هذا القرآن الكريم من عند الله - تبارك وتعالى - ترتبط آيات وسور القرآن الكريم كلها مع بعضها البعض في موضوعاتها، وقضاياها الكلية التي جاءت تعرض لها وتوضحها ؛ وذلك كله بياناً للطريق القويم، وتوضيحاً أن هذا الكتاب قد تنزل من لدن حكيمٍ خبير، أحكم كل حرف فيه، وأحكم كل كلمة فيه، وأحكم كل آية منه، بل وأحكمه جميعه تصديقاً ؛ لقول الله - تعالى:[كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ] هود ١، ولقوله - تعالى: [وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ **تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**] الزخرف ٤١، ٤٢.

- وسورة الشرح كونها سورةً مكيةً تنزلت على النبي - ﷺ - في مرحلة حرجةٍ من مراحل الدعوة المباركة قد حوت من المنهجيات القرآنية ما يهم المؤمن في معاشه ومعاده ؛ وتربيته الإيمانية، وإنشاء التصورات القيمية التي تربي المؤمن على التزود من الإيمان مع بيان محاور هذا التزود ؛ لذا كان لزاماً على من تعرض للنظر في هذه السورة الكريمة الوقوف على توضيح تلك المنهجيات المتنوعة في هذه السورة.

- والمنهجيات القرآنية الواردة في السورة الكريمة على الترتيب تتمثل فيما يلي:

١- منهجية شرح صدور المؤمنين بالإيمان بهذا الدين، ووضع الوزر عنهم.

٢-منهجية رفع الذكر لمن آمن واهتدى.

٣-منهجية " لن يغلب عسرٌ يسرين".

٤- منهجية الرغبة إلى الله، والنصب بين يديه.

- وبداية يجب التذكير بأن للإيمان أثره في حياة صاحبه ؛ فمن أخذ بالإيمان عزَّ وتحققت له ثمرات الإيمان، ومن تنكب طريق الهداية أضله الله - تعالى بضلاله ؛ والقرآن الكريم ناطقٌ بهذه الحقيقة في ثنايا سوره العديدة ؛ كما يلي:

- ***أولاً: أبان الله تعالى أنه يرتب السعادة أو الشقاء على الأخذ بالمنهج الإلهي***؛ وذلك قول الله تعالى: [فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ] البقرة ٣٨، ٣٩، ولقوله تعالى:[فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى، وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى] طه ١٢٣: ١٢٧.
- ***ثانياً رتب الله – تعالى – على الذنوب العقاب الدنيوي العاجل في غير ما موضع من القرآن ؛ لقول الله– تعالى:*** [فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ] العنكبوت ٤٠، ولقوله تعالى: [إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ] والفجر ١٤، ولقوله تعالى: [فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا] المائدة ١٦٠، ١٦١.
- ***ثالثاً: رتب الله تعالى –كذلك على الإيمان والعمل الصالح الهداية والسعادة، والحياة الآمنة المطمئنة*** ؛ لقول الله تعالى :[وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ] المائدة ٦٥، ٦٦، ولقوله – تعالى: [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ] الأعراف ٩٦، ولقوله – تعالى [مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ] النحل ٩٧، ولقوله – تعالى: [وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا] الجن ١٦،ومثله قوله تعالى:[وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضلٍ فَضْلَهُ] هود: ٣، ومثله قوله – تعالى [لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فى هذِهِ الدُّنْيَا حسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتّقِينَ] النحل:٣٠، ومثله قوله – تعالى[لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِى هذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ] الزمر: ١٠؛ فبين — سبحانه – أنه يسعد المحسن بإحسانه فى الدنيا وفى الآخرة، كما أخبر أنه يشقى المسىء بإساءته فى الدنيا والآخرة. قال – تعالى:[وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يومَ الْقِيَامَة أَعْمَى] طه: ١٢٤، وجميع هذه الآيات المباركات يرتب الله – تعالى فيها الجزاء الحسن على العمل الصالح، بل رتب الله — تعالى – زيادة الإيمان على أخذ المؤمن زمام المبادأة من نفسه بأن يؤمن لقوله – تعالى: [وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ] محمد ١٧، ولذا يمكن القول أن هذه السورة الكريمة التي عدد الله فيها نعمه على نبيه محمد – ﷺ – كانت لأجل اختيار الرسول – ﷺ – طريق الإيمان، فلما آمن – ﷺ – وقام لأمر ربه أكرمه الله — تعالى – بتلك المكرمات التي ذكرتها هذه السورة الكريمة، لكن تظل هذه المكرمات تمثل مفاتيح منهجيات قرآنية قد تتكرر مع كل مؤمن اتبع طريق الهداية، واستمع لنداء الله– تعالى، واقتدى بالنبي الأعظم محمد – ﷺ، ولكل منهجية من هذه المنهجيات القرآنية أصولها التي تتكيء عليها على مدى الكتاب الكريم كله، كما سيتضح.

<u>أولاً: منهجية شرح صدور المؤمنين بالإيمان بهذا الدين، ووضع الوزر عنهم:</u>

– تحدثت الآيات القرآنية عن هذه المنهجية في غير ما وضع من كتاب الله – تبارك وتعالى– كما يلي:

– *<u>بداية</u>*: **المراد بها هي توسعة صدور المؤمنين وفرحهم، وابتهاجهم بإيمانهم فحسب، واستصغارهم كل ما يحدث لهم في طريق السير إلى الله – تبارك وتعالى ؛ طلباً لرضوان الله – تعالى، وحطاً لآثار ذنوبهم عن قلوبهم.**

- وقد تحدث القرآن الكريم حول هذه المنهجية فأبان الله - تبارك وتعالى - **معالمها** كما يلي:

- أن هذه **المنحة كانت طلباً** قبل ذلك لموسى من رب العالمين ؛ حين أمره الله - تبارك وتعالى- بالقيام بأمر مواجهة عدو الله فرعون بأن يذهب إليه داعياً إياه إلى الإيمان بالله الواحد - تبارك وتعالى:[**اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي]** طه ٢٤: ٣١، فكان أن أجابه الله - تعالى - لطلبه ذاك.

- على حين **جاءت هذه المنحة الإلهية عطاءً** غير محدود من الله- تعالى- لرسول هذه الأمة، ثم لأمته من بعده بقوله - تعالى: **[أَلَمْ نَشْرَحْ لك صدرك ووضعنا عنك وزرك]** الشرح ١، ٢ أي قد شرحنا لك صدرك دون طلب منك ووضعنا عنك ما أشعرك بالعنت مما كان قبل ذلك من آثار ما يجوز من الذنوب في حق الأنبياء، ومثله أيضاً قوله - تعالى- في حق أمته: [فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ] الأنعام ١٢٥.

- **وأما بالنسبة لوضع الوزر فقد جاء منحة من الله - تعالى - لأنبيائه،** فمع النبي محمد - ﷺ - قال الله - تعالى- له: [وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ] الشرح ٢، ومع نبي الله موسى- عليه السلام- قال الله - تعالى- له في معرض المن أيضاً: [وَقَتَلْتَ نَفْسًا **فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ** وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَامُوسَى] طه ٤٠.

- **وأما المؤمنون فإنهم أعطوه لما سألوه** ؛ فإنه وفقاً لما رواه الإمام مسلم - رحمه الله تعالى- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ - ﷺ - [لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]البقرة: ٢٨٤، قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ -

ﷺ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ – ﷺ – ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللهِ، كُلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ، الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ، وَقَدِ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ: " **أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ؟!** بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ "، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ، ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي إِثْرِهَا: [آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ] البقرة: ٢٨٥ ؛ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللهُ – تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللهُ – عَزَّ وَجَلَّ:[لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا] البقرة: ٢٨٦، " قَالَ: نَعَمْ " [رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا] البقرة: ٢٨٦، " قَالَ: نَعَمْ " [رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ] البقرة: ٢٨٦ " قَالَ: نَعَمْ " [وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ] البقرة: ٢٨٦، " قَالَ: نَعَمْ "(١) ؛ **فأجابهم الله تعالى بأن حط عنهم ما ثقل عليهم مما لا يمكنهم أن يتحملوه، بعد أن طلبوا ذلك منه تبارك وتعالى.**

– ***ثانياً كيفية تحقيق منهجية شرح الصدر:*** وقد تحدث العلماء **عن أهم أسباب شرح الصدر** فذكروا منها:

- **التوحيد والإيمان والهدى** ؛ ويكفي في الباب قول الله – تعالى: [وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ] محمد ١٧ أي زَادَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ إِيمَانًا إِلَى إِيمَانِهِمْ، وَبَيَانًا لِحَقِيقَةِ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِلَى الْبَيَانِ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُمْ(٢)، وقوله تعالى:[**فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ** وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ] الأنعام ١٢٥.

١ - حديث صحيح رواه الإمام مسلم في صحيحه ١ / ١١٥ رقم ١٢٥
٢ - تفسير الطبري ٢١ / ٢٠٥

- **الولاء والبراء في الله – تعالى:** على الأساس العقدي الذي وضعه الله – تبارك وتعالى – للمؤمنين في كتابه ؛ فإن في ذلك عين التجرد لله – تبارك وتعالى، وهذا التوجه العقدي لا شك يُثمر في قلب المؤمن سعةً، وانشراحاً، وتكفيراً للذنوب، ومحواً للخطايا يجعل المؤمن قرير النفس ؛ لقول الله – تبارك وتعالى: [يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ] المائدة ٥٤ ؛ فيكفي المؤمنين هذا الوعد من الله – تبارك وتعالى: **[يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ]، وقوله – تبارك وتعالى – [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا] مريم ٩٦ وفيه من الوعد العظيم بانشراح صدورهم لذلك ما فيه.**
- **الإيمان بقضاء الله وتقديره كل الأمور وفق مشيئته:** فإن المؤمن مأمور بالإيمان بالقدر خيره وشره كما ورد في حديث جبريل التعليمي مع النبي – ﷺ، حيث قَالَ:" فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ (١) وَحَقِيقَةُ الْقَدَرِ الِاصْطِلَاحِيِّ خَفِيَّةٌ فَإِنَّ مِقْدَارَ تَأَثُّرِ الْكَائِنَاتِ بِتَصَرُّفَاتِ اللَّهِ – تَعَالَى – وَبِتَسَبُّبِ أَسْبَابِهَا وَنُهُوضِ مَوَانِعِهَا لَمْ يَبْلُغْ عِلْمُ الْإِنْسَانِ إِلَى كَشْفِ غَوَامِضِهِ وَمَعْرِفَةِ مَا مَكَّنَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ مِنْ تَنْفِيذِ لِمَا قَدَّرَهُ اللَّهُ، وَالْأَدِلَّةُ الشَّرْعِيَّةُ وَالْعَقْلِيَّةُ تَقْتَضِي أَنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَالْأَعْمَالَ السَّيِّئَةَ سَوَاءٌ فِي التَّأَثُّرِ لِإِرَادَةِ اللَّهِ – تَعَالَى – وَتَعَلُّقِ قُدْرَتِهِ إِذَا تَعَلَّقَتْ بِشَيْءٍ، **فَلَيْسَتْ نِسْبَةُ آثَارِ الْخَيْرِ إِلَى اللَّهِ دُونَ نِسْبَةِ أَثَرِ الشَّرِّ إِلَيْهِ إِلَّا أَدَبًا مَعَ الْخَالِقِ لَقَّنَهُ اللَّهُ عَبِيدَهُ** (٢)، وقد ورد في الأثر عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ يُذْهِبُ الْهَمَّ**

١ - حديث صحيح رواه مسلم في صحيحه ٣٦/١ رقم ٨.
٢ - التحرير والتنوير ٢٧ / ٢١٩

وَالْحَزَنَ»(١)، ولقوله تعالى:[إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ] القمر ٤٩، فهذه الآية وأشباهها هي التي غسلت القلوب من الأحزان والأغيار، وأراحت العبد من كدّ التدبير والاختيار ؛ **لأنّ العاقل إذا علمَ عِلم يقين أنّ شئونه وأحواله، وكل ما ينزل به، قد عمّه القدر، لا يتقدّم شيءٌ عن وقته ولا يتأخر، فوَّض أمره إلى الله، واستسلم لأحكام مولاه، وتلقى ما ينزل به من النوازل بالرضا والقبول**، خيراً كان أو شرًّا (٢).

- **محبة الله تبارك وتعالى ورسوله، وإيثارهما على ما عداهما** ؛ فإن محبة الله – تبارك وتعالى– تورث القلب انشراحاً عظيماً، يشعر المؤمن معه أنه يركن إلى القوة الكبرى في هذا الوجود ؛ ففي الحديث الصحيح عن عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ – ﷺ – قَالَ: " ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ " (٣)، ومثله ذوق طعم الإيمان كما ورد عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ – ﷺ، يَقُولُ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»(٤)
- **المحافظة على شعائر الإسلام المتعددة، من صلاة وزكاة وصوم وحج، وغير ذلك:** لأن الله – تبارك وتعالى– قد جعل هذه الشعائر كما الأدوات التي تجلو صدأ قلب الإنسان المؤمن ؛ فيصبح محلاً لتنزل فيوضات فضل الله – تبارك وتعالى– عليه ؛ فيصير صاحبه يحيا لله، وبالله، ومطمئناً إلى فعل الله – تبارك وتعالى– به ؛ لما يملكه من يقين قلبي أنه يركن إلى القوة الكبرى التي تريح نفسه، وتداوي علله، وتشرح صدره، وقد ورد

١ - مسند الشهاب ١/ ١٨٧ المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (المتوفى: ٤٥٤هـ) المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٦
٢ - انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٥/ ٥٣٦، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ
٣ - حديث صحيح رواه البخاري في صحيحه ١/ ١٢ رقم ١٦
٤ -حديث صحيح، رواه مسلم في صحيحه ١/ ٦٢

في الباب أدلة كثيرة من القرآن والسنة، ويكفي في الباب الإشارة النبوية في الحديث الصحيح عند البخاري – رحمه الله تعالى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ – ﷺ- كَانَ يَقُولُ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ» (١)، ولقوله – ﷺ – مخاطباً بلالاً بقوله: " **يَا بِلَالُ، أَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ** " (٢).

- **العلم المتصل بالله – تعالى** ؛ ذلك أن العلم المتصل بالله – تعالى – هو الطريق لمعرفته – تبارك وتعالى – كي يقدر الإنسان إلهه حق قدره، كما أن العلم بالله – تبارك وتعالى- والعلم المتصل عن رسول الله – ﷺ – يجعل المؤمنين يرون الأحداث والمستحدثات على حقيقتها ؛ فيكون لهم نور يشرح صدورهم بجانب نور وبهاء الهداية ؛ وهو العلم الذي يورث المعرفة الشاملة فيكون للإنسان نورٌ يفرق به بين الحق والباطل ؛ كما قال الله – تعالى: [يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ] الأنفال ٢٩، ولذا ينعم الله – تعالى- عليهم بالفراسة الإيمانية، كما قال الله تعالى: [إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ] الحجر ٧٥، قال مجاهد **في ذلك آيات للمتفرسين**(٣) ؛ وقد ورد في ذلك حديث عند الترمذي – رحمه الله تعالى – عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ: " **اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ، ثُمَّ قَرَأَ: [إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ]**(٤) الحجر ٧٥

- **الإنابة والتوبة لله رب العالمين على الدوام**: وذلك بكثرة التوبة لله رب العالمين على كل حال ؛ لقول الله – تعالى: [وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ]

١ - صحيح البخاري ١/ ٢٠٩ برقم ٢٣٣
٢ - حديث صحيح ؛ رواه أحمد في مسنده ٣٨/ ١٧٨ برقم ٢٣٠٨٧
٣ - تفسير الطبري ١٤/ ٩٤
٤ - الجامع الكبير - سنن الترمذي ٥/ ١٤٩ رقم ٣١٢٧، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م،قال الترمذي حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

النور ٣١، ولقوله – تعالى: [قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ] الزمر ٥٣: ٥٥ ؛ فإن التوبة تمحو ما قبلها من أوزار وذنوب ؛ فيستريح قلب الإنسان المسلم التائب، وينشرح صدره ؛ للحديث الصحيح عند الإمام مسلم – رحمه الله تعالى: قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ:" **لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ،** مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، **ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ،** أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ "(١) ؛ هذه التوبة التي تورث محبة الرب تبارك وتعالى– كما قال الله تعالى: [إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ] البقرة ٢٢٢

- **المداومة على ذكر الله – تعالى– على كل حال** ؛ لقول الله – تعالى:[الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ] الرعد ٢٨، لما ورد في الحديث القدسي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ: يَقُولُ اللهُ – عَزَّ وَجَلَّ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» ؛ **فمداومة المؤمن على ذكر الله – تعالى– توجب لصالحبها الولاية التي تجعل قلبه هادئاً قريراً منشرحاً** ؛ كما قال الله – تعالى:**[أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ]** يونس ٦٢: ٦٤ ؛ فهؤلاء الذين حققوا أسباب الولاية الربانية كافأهم الله – تعالى – بإبعاد

١ - حديث صحيح، رواه الإمام مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٠٤ رقم ٢٧٤٧

الحزن والهم والغم والخوف عن قلوبهم، وكافأهم بشرح الصدر، والفرح، والسرور، والبشارة العاجلة في الدنيا قبل الآخرة.

- **الإحسان إلى الخلق ونفعهم**: ذلك أن الإحسان إلى الخلق دليلُ خيرٍ في قلب صاحبه ؛ لأن من يفعله يفعله وهو ينظر إلى الخالق، ولا يقتصر على النظر إلى المخلوقين، فقد أثبت الله – تعالى معيته، ومدده، وعطاءه، وتأييده لهؤلاء بقوله تبارك وتعالى: [**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ**] النحل ١٢٨، وللحديث الصحيح عَنْ ابْنِ عُمَرَ – رضي الله عنهما – قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ – ﷺ – فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إلى اللهِ ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إلى اللهِ ؟ فَقَالَ: " **أَحَبُّ النَّاسِ إلى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ**، يَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ يَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ يَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِي مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ – مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ– شَهْرًا (١)
- **الشجاعة والإقدام** ؛ جهاداً في سبيل الله – تبارك وتعالى – وإقامة لشرعه ؛ فإن ذلك يجعل المؤمن يحيا قرير النفس لا يهاب الموت في سبيله – تبارك وتعالى.
- **إخراج ضغائن النفس، ومداواة القلب مما أصابه من أمراض**، فإن للقلب أمراضاً كما للبدن تماماً بتمام، فعلى الكيس أن يتعهد قلبه بالإصلاح والتزكية فإن في صلاحه نجاة البدن كله، وفي فساده هلاك بدنه ؛ كما ورد في الحديث الصحيح عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ

---

١ – سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ٢/ ٥٧٤ رقم ٩٠٦، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، وانظر: المعجم الأوسط ٦/ ١٣٦ رقم ٦٠٢٦، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة.

حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، **أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ** "(1).

- **ترك فضول الأفعال والشهوات** من النظر، والكلام، والاستمتاع، والمخالطة، والأكل، والنوم وغيرها ؛ ذلك أن فعل هذه الفضول تستحيل على صاحبها هماً، وغماً، ونكداً، ونقصها أو توقع زوالها يذهب لذة السعادة وانشراح الصدر بها، فيعيش صاحبها من خوف زوالها في شدة طلب لها ما يورث القلب ضيقاً، وهماً وغماً.
- **المتابعة التامة والاقتداء المطلق بالنبي – ﷺ – في هديه الخِلقي، والخُلقي**، وقد كان رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – أَكْمَلَ الخَلْقِ فِي كُلِّ صِفَةٍ يَحْصُلُ بِهَا انْشِرَاحُ الصَّدْرِ، وَاتِّسَاعُ الْقَلْبِ، وَقُرَّةُ الْعَيْنِ، وَحَيَاةُ الرُّوحِ، فَهُوَ أَكْمَلُ الخَلْقِ فِي هَذَا الشَّرْحِ وَالْحَيَاةِ وَقُرَّةِ الْعَيْنِ مَعَ مَا خُصَّ بِهِ مِنَ الشَّرْحِ الحِسِّيِّ، وَأَكْمَلُ الْخَلْقِ مُتَابَعَةً لَهُ، أَكْمَلُهُمُ انْشِرَاحًا وَلَذَّةً وَقُرَّةَ عَيْنٍ، وَعَلَى حَسَبِ مُتَابَعَتِهِ يَنَالُ الْعَبْدُ مِنَ انْشِرَاحِ صَدْرِهِ وَقُرَّةِ عَيْنِهِ وَلَذَّةِ رُوحِهِ مَا يَنَالُ، **فَهُوَ – ﷺ– فِي ذُرْوَةِ الْكَمَالِ مِنْ شَرْحِ الصَّدْرِ وَرَفْعِ الذِّكْرِ وَوَضْعِ الْوِزْرِ، وَلِأَتْبَاعِهِ مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ نَصِيبِهِمْ مِنَ اتِّبَاعِهِ –ﷺ–** (2).

– ***وأما مظاهر انشراح الصدر*** لتقدير الله للمرء فقد ورد في الأثر – وإن كان فيه مقال– عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ: [فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ] الأنعام: ١٢٥، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ النُّورَ إِذَا دَخَلَ الصَّدْرَ انْفَسَحَ» فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ لِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ يُعْرَفُ ؟ قَالَ نَعَمْ:

١ - **التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ.**
٢ -**وَالْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ.**

---

١ - حديث صحيح ؛ رواه البخاري في صحيحه ١/ ٢٠ رقم ٥٠.

٢ – انظر / زاد المعاد في هدي خير العباد ٢/ ٢٢: ٢٦ المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م

٣-وَالِاسْتِعْدَادِ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ (١).

- **تلك أهم معالم المنهجية الأولى في هذه السورة الكريمة وهي منهجية شرح صدر المؤمنين، وحط أوزارهم عنهم.**

****

ثانياً: منهجية رفع الذكر لمن آمن واهتدى:

-ويراد بهذه المنهجية:الطريقة القرآنية الموضوعة في القرآن الكريم لبيان الطريق لرفع الذكر للمؤمنين في الدنيا والآخرة.

- ولأن القرآن الكريم هو الكتاب الذي أنزله الله – تعالى- ليكون حافظاً للرسالة الخاتمة، البرهان المبين على أنه لن ينصلح حال المخلوقين إلا بالعودة لطريق خالقهم وفق منهجه الموضوع والمحفوظ في هذه الكتاب فقد أبان الله – تبارك وتعالى – فيه معالم هذه المنهجية ؛ حيث تحدث ربنا في قرآنه الكريم أنه لن يكون رفع الذكر إلا بالعودة التامة لله رب العالمين كما قال – تعالى – مخاطباً أبا البشر آدم – عليه السلام – وزروجه بقوله – تعالى:[قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى]البقرة ١٢٣، ١٢٤.

- وقد أوضح القرآن الكريم قصة الإيمان في كتابه الكريم، فأبان أن **المعركة الممتدة** منذ خلق الله آدم وأسجد له ملائكته هي الصراع الدائم بين الحق وحملته من جهة، وعلى رأس هذا الفريق آدم والأنبياء من بنيه، والفريق الآخر يأتي على رأسه إبليس وأكابر المجرمين من الكافرين من الجهة الثانية.

١ – المستدرك على الصحيحين ٤/ ٣٤٦، رقم ٧٨٦٣،المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠، تعليق الذهبي فيه عدي بن الفضل: ساقط.

- وقد أوضح الله – تعالى- في القرآن الكريم أن **الغلبة في النهاية دائماً لابد أن تكون لمعسكر الإيمان** وعلى رأسه قادته من أنبياء الله – تعالى- الأطهار، كما قال – تعالى:[وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ، وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ]الصافات ١٧١: ١٧٣.

- كما أبان القرآن الكريم أن **ميزان التفاضل الإلهي بين الخلق – والموضوع وفق التصور الإسلامي – هو أن العاقبة للتقوى**، وأن التقوى هي الفيصل في الأعمال ؛ لقوله – تعالى: [وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى] طه ١٣٢، ولقوله – تعالى: [يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ] الحجرات ١٣.

- والقرآن الكريم وهو يتحدث عن جزاء الأعمال أبان أن هناك **جزاءً أخروياً وهو السعادة الحقة التي لا يدانيها سعادة**، وهي الفوز بالجنة، كما قال – تعالى:[كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ] آل عمران ١٨٥، ومثلما ورد عَنْ قَيْسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْمُسْتَوْرِدَ، أَخَا بَنِي فِهْرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: " وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ إِلَيْهِ "(١)، وهو عين ما ورد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: " يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنَ الْكُفَّارِ، فَيَقُولُ اللَّهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: اغْمِسُوهُ غَمْسَةً فِي النَّارِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ نَعِيمًا قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ الْمُؤْمِنِينَ ضُرًّا، فَيَقُولُ: اغْمِسُوهُ غَمْسَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ ضُرًّا قَطُّ؟ – أَوْ مَسَّكَ بَلَاءٌ قَطُّ؟ – فَيَقُولُ: لَا "(٢)، كما أبان أن هناك جزاءً عاجلاً في الدنيا لعباد الله المؤمنين، وهو أثر العمل الصالح على واقع الحياة التي يحياها الناس، وهو تيسير الحياة الطيبة لهم بإيمانهم بالله تعالى وقيامهم بما

١ - حديث صحيح على شرط مسلم رواه أحمد في مسنده ٥٤١/٢٩ رقم ١٨٠١٢.

٢ – الزهد والرقائق لابن المبارك (يليه «مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي نُسْخَتِهِ زَائِدًا عَلَى مَا رَوَاهُ الْمَرْوَزِيُّ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ» ١/ ٢٢٠، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (المتوفى: ١٨١هـ) المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت

أمرهم به عز وجل ؛ لقوله تعالى: [مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ] النحل ٩٨.

-**ومن أوجه هذا العطاء الإلهي للمؤمنين في الدنيا رفع ذكرهم في العالمين** ؛ كمنا قال – تعالى- في حق نبي الله عيسى وأتباعه: [إِنِّي مُتَوَفِّيكَ **وَرَافِعُكَ** إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا **وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا** إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ]آل عمران ٥٥، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ: [وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ] قال:«هُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ عَلَى فِطْرَتِهِ وَمِلَّتِهِ وَسُنَّتِهِ فَلَا يَزَالُونَ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(١).

- **ومن أعظم ما من الله – تعالى- به على البشرية في العطاء الدنيوي أن جعل لها أعلاماً للهداية،** نصبها لها في طريق سيرها إلى الله – تعالى- كي تستلهم من سيرتهم كيفية المسير إلى الله – تعالى، وهؤلاء هم أنبياء الله – تعالى- من لدن آدم إلى ذكر خاتم النبيين محمدٍ – ﷺ، وهم الذين أمر الله – تعالى- عباده بضرورة اقتفاء أثرهم والاقتداء بهم ؛ كما قال -تبارك وتعالى: [وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ، وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ، **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ**] الأنعام ٨٣: ٩٠.

١ – تفسير الطبري ٥/٤٥٤

- وأعظم العطاء الدنيوي لهؤلاء هو رفع ذكرهم في العالمين بأن جعلهم أعلام الهدية في كتابه – تعالى– المحفوظ من أن تناله يد التحريف، والذي أكد ربنا – تبارك وتعالى– على حفظه بقوله:[إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ]الحجر ٩، فحفظ هذا الكتاب يستوجب حفظ ذكر هؤلاء الأنبياء، وهو بالضرورة لا محالة حفظ لقيمهم الكبرى التي دعوا إليها، والتي قضوا في سبيلها.

- كما أكد القرآن الكريم هذه المنهجية القرآنية وهي رفع ذكر من آمن بالله – تعالى– وعمل الصالحات بأن رفع ذكر أتباع هؤلاء الأنبياء، وجعل تلاوة سيرهم في القرآن الكريم باباً من أبواب التقرب إلى الله – تعالى، كي يظل هؤلاء علامات مضيئة في طريق السير إلى الله – تعالى، من ذلك ذكر أتباعهم كذكر مؤمن آل فرعون، والمذكورة قصته في سورة غافر من قوله تعالى [وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ] غافر الآية ٢٨، إلى قوله – تعالى– في بيان عاقبته:[فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ] غافر آية ٤٥، بل من عظيم رفع الذكر له أن يسمي الله – تعالى – سورة باسمه فيقال عن هذه السورة سورة المؤمن، أو مؤمن آل فرعون، ومثل ذلك أيضاً ذكر مؤمن آل يس في سورة يس في رفع لذكرهم وتخليد لسيرتهم بما قدموه من أعمال ترضي الله – تعالى – في سبيل نصرة هذه العقيدة التي بعث بها أنبياء الله وظلوا ينافحون في سبيلها حتى قضوا نحبهم.

- والقصص القرآني لا يخلوا من تشريف هؤلاء برفع ذكرهم في الكتاب الذي اعتمد إلهياً بأن يكون وعاء الرسالة الخاتمة، والذي جعله الله – تعالى – السبيل الأوحد لصون منهجه، وتخليد شريعته وصلاحيتها، فكان كلما قرأه المؤمنون تذكروا هذا الرهط الصالح الذين خلد الله – تعالى – ذكرهم فيه، وأي تشريف أعظم من هذا التشريف، وأي تكريم أكرم من هذا التكريم !!!

- وفي نفس السياق، وعلى نفس النسق جاء تكريم الله – تعالى- لمحمد -ﷺ- بأن رفع الله – تعالى ذكره في ربوع العالمين كما فصلنا القول في ذلك سابقاً (١).

- ثم يأتي الحديث عن تكريم الله – تعالى- لجيل صحابة النبي محمد - ﷺ، وهم الذين اجتباهم واصطفاهم الله تعالى كي يكونوا الجيل النموذجي الفريد الذي يطبق هذا الدين، ويجعله واقعاً حياً عملياً يسير على هذه الأرض حتى خلد الله – تعالى- ذكرهم في قرآنه ببشارته لهم أجمعين بقوله:[وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا** عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] التوبة ١٠٠، وهم المعنيون بقول الحبيب محمد - ﷺ:« خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ » (٢).

- ولمعرفة قيمة هذه النعمة التي جعلها الله – تعالى - منهجية واضحة في كتابه يكفي النظر في سيرة كل من بلال بن أبي رباح، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي، وعبد الله بن مسعود – رضي الله عنهم أجمعين – وغيرهم ممن خلد القرآن ذكرهم في وعي الزمان أجمع، والذين هم لولا الإسلام عليهم ما كان لهم ذكر بين الخلق، فنقلهم من مجرد أناس يعاملون في مجتمعاتهم كسلعة تُباع وتشترى، أو كعبيدٍ لا قيمة لهم إلى أن ساروا سادة يُقتفى أثر إيمانهم، **وما حدث ذلك كله إلا كثمرة لهذه المنهجية القرآنية وهي رفع ذكرهم في العالمين.**

- ففي حق بلال - رضي الله تبارك وتعالى عنه - أنزل الله – تعالى- آية كريمة في صيغة تصور عام يتلى إلى يوم الدين ؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ أَمَرَ النَّبِيُّ – ﷺ- بِلَالًا حَتَّى عَلَا عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ فَأَذَّنَ، فَقَالَ عَتَّابُ بْنُ أَسِيدِ بْنِ أَبِي الْعِيصِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَبَضَ أَبِي حَتَّى لا يرى هذا اليوم !!! وقال الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ: مَا وَجَدَ مُحَمَّدٌ غَيْرَ هَذَا الْغُرَابِ الْأَسْوَدِ مُؤَذِّنًا ؟! وَقَالَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو: إِنْ يُرِدِ اللَّهُ شَيْئًا يُغَيِّرْهُ، وَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: إِنِّي لَا أَقُولُ شَيْئًا أَخَافُ أَنْ يُخْبَرَ بِهِ رَبُّ السَّمَاءِ، فَأَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ – ﷺ – وَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالُوا ؛

١ - أنظر ص ١٠ من هذا البحث
٢ -حديث صحيح، صحيح الإمام مسلم ٤/ ١٩٦٢ حديث رقم ٢٥٣٣

فَدَعَاهُمْ وَسَأَلَهُمْ عَمَّا قَالُوا فَأَقَرُّوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ – تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ: **[إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ]**، زَجَرَهُمْ عَنِ التَّفَاخُرِ بِالْأَنْسَابِ، وَالتَّكَاثُرِ بِالْأَمْوَالِ، وَالِازْدِرَاءِ بِالْفُقَرَاءِ، فَإِنَّ الْمَدَارَ عَلَى التَّقْوَى ([1]).

–وفي حق عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – ورد عنه قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ – ﷺ –: «اقْرَأْ عَلَيَّ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ، قَالَ: «نَعَمْ» فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الآيَةِ:[فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ، وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيدًا] النساء: ٤١، قَالَ: «حَسْبُكَ الآنَ» فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ ([2]).

–وباستقراء الآيات القرآنية نرى أن أركان تحقيق هذه المنهجية يقوم على هذه الأركان:

– الإيمان.

– العمل الصالح.

– الصبر على طريق الإيمان.

– القيام بمهمة الأنبياء، وهي الدعوة إلى الله ؛ دلالةً للخلق على الخالق – تبارك وتعالى.

– الاعتقاد الجازم واليقين في الله – تبارك وتعالى.

– قال تعالى: [أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ] الأنعام ٩٠، وقال: **[وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ]** السجدة ٢٤، قال الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى:" **فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ جَعَلَهُمْ أَئِمَّةً يَأْتَمُّ بِهِمْ مَنْ بَعْدَهُمْ لِصَبْرِهِمْ وَيَقِينِهِمْ؛** إِذْ بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ تُنَالُ الْإِمَامَةُ فِي الدِّينِ فَإِنَّ الدَّاعِيَ إِلَى اللَّهِ – تَعَالَى- لَا يَتِمُّ لَهُ أَمْرُهُ إِلَّا **بِيَقِينِهِ لِلْحَقِّ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ، وَبَصِيرَتِهِ بِهِ، وَصَبْرِهِ عَلَى تَنْفِيذِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ بِاحْتِمَالِ مَشَاقِّ الدَّعْوَةِ وَكَفِّ النَّفْسِ**

١ - تفسير القرطبي ١٦/ ٣٤١
٢ - صحيح البخاري ٦/ ١٩٦

عَمَّا يُوهِنُ عَزْمَهُ وَيُضْعِفُ إِرَادَتَهُ، فَمَنْ كَانَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ كَانَ مِنْ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ يَهْدُونَ بِأَمْرِهِ – تَعَالَى- وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ – ﷺ – أَحَقُّ، وَأَوْلَى بِهَذَا الْوَصْفِ مِنْ أَصْحَابِ مُوسَى، فَهُمْ أَكْمَلُ يَقِينًا، وَأَعْظَمُ صَبْرًا مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ، **فَهُمْ أَوْلَى بِمَنْصِبِ هَذِهِ الْإِمَامَةِ، وَهَذَا أَمْرٌ ثَابِتٌ بِلَا شَكٍّ بِشَهَادَةِ اللَّهِ لَهُمْ وَثَنَائِهِ عَلَيْهِمْ، وَشَهَادَةِ الرَّسُولِ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ، وَأَنَّهُمْ خِيرَةُ اللَّهِ وَصَفْوَتُهُ،** وَمِنْ الْمُحَالِ عَلَى مَنْ هَذَا شَأْنُهُمْ أَنْ يُخْطِئُوا كُلُّهُمْ الْحَقَّ، وَيَظْفَرَ بِهِ الْمُتَأَخِّرُونَ، وَلَوْ كَانَ هَذَا مُمْكِنًا لَانْقَلَبَتْ الْحَقَائِقُ، وَكَانَ الْمُتَأَخِّرُونَ أَئِمَّةً لَهُمْ يَجِبُ عَلَيْهِمْ الرُّجُوعُ إلَى فَتَاوِيهِمْ، وَأَقْوَالِهِمْ، وَهَذَا كَمَا أَنَّهُ مُحَالٌ حِسًّا وَعَقْلًا فَهُوَ مُحَالٌ شَرْعًا، وَبِاَللَّهِ التَّوْفِيقُ([1])".

****

ثالثاً: منهجية غرس اليقين بتبديل عسر المؤمنين يسراً لا محالة ؛ [فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا]

-منذ خلق الله – تعالى – آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته الأطهار، والمعركة دائرة بين آدم وبنيه من جهة، وبين إبليس وأشياعه من جهة أخرى، وحال أبناء آدم – بتقدير الله تعالى – يتناوب الابتلاء بالخير والشر، كما قال الله –تعالى:[وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ]الأنبياء ٣٥، وكما قال – تعالى: [تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ] الملك ١، ٢، ولقوله- تعالى [وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا]المائدة ٤٨، ولقوله تعالى: [وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ]الأنعام ١٦٥، ولقوله تعالى:[وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا] هود ٧.

---

١ - إعلام الموقعين عن رب العالمين ٤/ ١٠٣ المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م

– لذا فإن حال الإنسان على ظهر هذه الأرض تتناوبه الأحوال من خيرٍ لشر، ومن شرٍّ لخير، وعلى كلٍ يظل هكذا حتى يقضي ما قدر له على ظهر هذه الأرض متناوبةً عليه الآفات وحالةً به المصائب، ومتقلبةً عليه الأحداث، والحال هكذا فإن الإنسان يظل في صراعٍ نفسيٍّ عنيفٍ بين السير في طريق الحق، أو تنكبها والاستسلام لشهواته والسقوط في طريق الباطل.

– وقد اقتضت رحمة الله – تبارك وتعالى- بهذا الكائن الضعيف أن يمده إن هو آمن بما يُقوي عزيمته على السير في طريق الحق حتى يلقى الله – تعالى- وهو عليها، وكان من سابغ فضله – تبارك وتعالى- أن أمد الإنسان بمددٍ نفسيٍّ وتأييدٍ من لدنه حتى لا ييأس أو يقنط من كثرة ما يلاقيه من آفات ؛ ذلك أن الله – تعالى- يعلم طبيعة النفس البشرية، وأنها مجبولةٌ على اليأس:[لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى] فصلت ٤٩، ٥٠.

– ومن أعظم العطايا التي امتن الله – تعالى- بها على عباده المؤمنين **أن غرس في نفوس المؤمنين به اليقين الجازم أن الابتلاء بالشر لا يدوم، وأن المؤمن بالصبر كلُّ عسيرٍ عليه يهون**، وأن لله- تعالى- منهجيةً لا تتخلف، وقانوناً إلهياً يعمل في الحياة ولا يتوقف أبداً، وهو [**فإن مع العسر يسراً، إن مع العسر يسراً**]، بل ما تراه اليوم صعباً هو من بعد لحظات قد يستحيل يسراً برحمة الله –تعالى- وتدبيره الذي يحيل الشرَّ خيراً، ويبدل العسر يسراً، ويجعل الخير يكمن في الشر.

– والمراد بهذه المنهجية: هو بيان طريقة القرآن الكريم في غرس اليقين في نفوس المؤمنين بحتمية إحالة الله – تعالى- العسر يسراً للمؤمنين.

– صور عرض القرآن الكريم لهذه المنهجية:

وهي منهجيةٌ واضحة في ثنايا الآيات القرآنية جميعها، بل نكاد نجزم أنها قد تكون مبثوثة في كل سور القرآن الكريم بصورة من الصور، فتارة تكون توجيهاً إلهياً مباشراً بغرس

الأمل، وتارة تكون في ثنايا الحديث عن آيات الله — تعالى- في خلق وتدبير أمور هذا الكون، وتارةً يرد إشارة إليها في ثنايا الحديث عن طبيعة المعركة الدائرة بين الإيمان والكفر، وأخرى تكون في بيان مآلات الصراع بين الحق والباطل إلى غير ذلك، كما سيتضح بيانه فيما يلي:

١- **بيان أن رفع الحرج، وإرادة التيسير على المؤمنين قاعدة أصيلة قام عليها التشريع في هذا الدين** ؛ لقوله – تعالى: [يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ] البقرة ١٨٥، ولقوله — تعالى: [مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ] المائدة ٦، ولقوله — تعالى: [وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ]الحج ٧٨، ولقوله:[مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا]الأحزاب ٣٨، فرفع الحرج في التشريع هو القاعدة الأصيلة التي تنبيء أن هذا الدين جاء ميسراً للإنسان، ولا يريد الله — تعالى- بعباده أبداً عنتاً أو شقاءً، بل إن العلماء قد أصلوا وقعدوا أنه حيثما وجد التيسير فثم شرع الله – تبارك وتعالى.

٢- **بيان أن الحياة المطمئنة جزاءٌ للعمل الصالح**: فقد أبان الحق -تبارك وتعالى – في قرآنه الكريم أن الحياة الطيبة هي جزاء لمن آمن وعمل صالحاً، والحياة الطيبة هي الحياة الهنية الميسرة ؛ كما قال — تعالى- بياناً لذلك بالنسبة لأهل الكتاب: [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ]المائدة ٦٥، ٦٦، كما أن نفس الوعد كرره الله — تعالى- لأهل الإسلام فقال:[وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ]الأعراف ٩٦، وأوضح – تبارك وتعالى- أن الحياة الطيبة الميسرة هي جزاءٌ عن العمل الصالح ؛ فقال: [وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ]النحل ٩٦، ٩٧، قال العلماء: " وَالطَّيِّبُ: مَا يَطِيبُ وَيَحْسُنُ، وَضِدُّ الطيّب: الْخَبِيث والسيّء، وَهَذَا وَعْدٌ بِخَيْرَاتِ الدُّنْيَا، وَأَعْظَمُهَا الرِّضَى بِمَا قَسَمَ لَهُمْ وَحُسْنُ أَمَلِهِمْ بِالْعَاقِبَةِ وَالصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ وَعِزَّةُ الْإِسْلَامِ فِي نُفُوسِهِمْ، وَهَذَا مَقَامٌ دَقِيقٌ تَتَفَاوَتُ فِيهِ الْأَحْوَالُ عَلَى تَفَاوُتِ سَرَائِرِ النُّفُوسِ، وَيُعْطِي اللَّهُ فِيهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَرَاتِبِ هِمَمِهِمْ وَآمَالِهِمْ "(١)، ومن ذلك أيضاً قوله تبارك وتعالى: [فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى] طه ١٢٣.

٣- **بيان أن اليسر ثمرةٌ مباشرةٌ لتقوى الله – تبارك وتعالى، وهو وعدٌ أكيد من مدبر الأمر**: لقوله – تعالى:[وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا] الطلاق ٤، ولقوله: [لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا]الطلاق ٧،" وَهَذَا الْخَبَرُ لَا يَقْتَضِي إِلَّا أَنَّ مِنْ تَصَرُّفَاتِ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَ بَعْدَ عُسْرِ قَوْمٍ يُسْرًا لَهُمْ، فَمَنْ كَانَ فِي عُسْرٍ رَجَا أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يَشْمَلُهُ فَضْلُ اللَّهِ، فَيُبَدِّلُ عُسْرَهُ بِالْيُسْرِ (٢).

٤- **عرض القصص القرآني وما فيه من إشاراتٍ واضحةٍ أن الحق لا محالة منتصرٌ، وأن أحوال المؤمنين لابد أن تتبدل إلى الخير، واليسرِ دائماً** ؛ ذلك أنه **ما من قصة من القصص القرآني إلا وختمت بتبديل عسر المؤمنين يسراً**، من ذلك ما ورد في ثنايا قصة بني إسرائيل حيث سامهم فرعون الذل: [وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ، **قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**] الأعراف ١٢٧: ١٢٩، ومن ذلك أيضاً ما ورد في الحديث الإلهي عن المعركة بين المؤمنين والكافرين في القرآن الكريم، وأن العاقبة دائماً للمتقين كقوله تعالى: [وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ

---

١ - التحرير والتنوير ١٤ / ٢٧٣
٢ - التحرير والتنوير ٢٨/ ٣٣٢

الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ] الأنبياء ١٠٥، ولقوله تعالى: [إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ، يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ، وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ، هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ، فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ] غافر ٥١: ٥٥.

٥- **التوجيهات النبوية على نفس الدرب القرآني:** وقد أثمرت هذه المنهجية القرآنية ثمرتها في نفس النبي الخاتم محمدٍ – ﷺ –حتى غدا مبشراً باليسر في أحلك لحظات العسر، من ذلك ما خاطب النبي – ﷺ صحابته في معظم الغزوات، وخاصةً يوم الأحزاب حيث كان الكرب والعسر أحاط بالمسلمين من كل حدبٍ وصوبٍ ؛ قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحُدِّثْتُ عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: ضَرَبْتُ فِي نَاحِيَةٍ مِنْ الْخَنْدَقِ، فَغَلُظَتْ عَلَيَّ صَخْرَةٌ، وَرَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – قَرِيبٌ مِنِّي، فَلَمَّا رَآنِي أَضْرِبُ وَرَأَى شِدَّةَ الْمَكَانِ عَلَيَّ، نَزَلَ فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ مِنْ يَدِي، فَضَرَبَ بِهِ ضَرْبَةً لَمَعَتْ تَحْتَ الْمِعْوَلِ بُرْقَةٌ، قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ ضَرْبَةً أُخْرَى، فَلَمَعَتْ تَحْتَهُ بُرْقَةٌ أُخْرَى، قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ الثَّالِثَةَ، فَلَمَعَتْ تَحْتَهُ بُرْقَةٌ أُخْرَى. قَالَ: قُلْتُ:بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ لَمَعَ تَحْتَ الْمِعْوَلِ وَأَنْتَ تَضْرِبُ؟! قَالَ: أَوَقَدْ رَأَيْتُ ذَلِكَ يَا سَلْمَانُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، **قَالَ: أَمَّا الْأُولَى فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَيَّ بِهَا الْيَمَنَ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَيَّ بِهَا الشَّامَ وَالْمَغْرِبَ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَيَّ بِهَا الْمَشْرِقَ** (١)، ومثله أيضاً الحديث الصحيح عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ: " إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ (٢)، فعلى الرغم أن القلوب ساعة الحروب تبلغ الحناجر إلا أن الثقة اليقينية للنبي – ﷺ – في الله – تبارك وتعالى – لم تتزعزع للحظة، حتى

١ - السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢١٩، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م

٢ - صحيح مسلم ٤/ ٢٢١٥ رقم ٢٨٩٩.

والصحابة في أحلك حالات الضعف المادي، ثبت في الصحيح عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ فَقُلْنَا: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلاَ تَدْعُو لَنَا ؟ فَقَالَ: «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، **وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»([1]).

**** الطريقة الإلهية لتحقيق هذه المنهجية:***

لأن القرآن الكريم كتاب الله – تعالى – الذي أنزله على النبي الخاتم كي يعمل أثره في تغيير حياة الناس، فإن الله – تبارك وتعالى – أبان عن طريقته الإلهية المعجزة في تبديل أحوال المؤمنين من العسر لليسر ومن الشدة إلى الرخاء، ومن الذلة والاستكانة إلى القوة والعزة والمنعة ؛ ولذا أبان الله – تبارك وتعالى- عن مساراتٍ متنوعةٍ في إعمال هذه المنهجية في حياة المؤمنين بسببٍ وبدون سببٍ، فلا يطلب منهم إلا سبباً واحداً كلياً مركزياً وهو قيامهم بتحيقيق الإيمان في حياتهم: [وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا]الجن ١٦، وباستقراء الآيات القرآنية نجد **معالم إلهية لإعمال هذه المنهجية** في حياة المؤمنين، وجميعها فرعٌ عن إيمان المؤمنين بربهم حق الإيمان وهذه **المعالم** هي:

١- **تسخير العوامل الطبيعية نفسها لتحيل عسر المؤمنين يسراً**: وهذا الأمر واضحٌ تمام الوضوح في القرآن الكريم – خاصةً-في حكي قصة الصراع بين الإيمان والكفر، ففي قصة نوح – عليه السلام- سخر الله – تبارك وتعالى- الماء كي يكون وسيلة تخليص المؤمنين من كيد الكافرين: [وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ،وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَابُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ وَقِيلَ يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ

١ - حديث صحيح، رواه البخاري في صحيحه ٩/ ٢٠ رقم ٦٩٤٣

وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ..... حتى قوله تعالى: [قِيلَ يَانُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ] هود ٤١: ٤٨، وكذلك في قصة عاد كانت الريح الصرصر سبيلاً لإنجاء المؤمنين، وإهلاك غيرهم المتسببين في عسرهم.

والقرآن الكريم يؤكد هذه الحقيقة على مدار القصص القرآني كله، ومع نبي الله الخاتم كان هذا المعلم واضحاً كما قال الله – تعالى: [إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ] الأنفال ١١

٢-سلب العسر ذاته أسباب إعساره وتبديلها سبباً لإسعاد المؤمنين وتيسير أحوالهم:

فالله – تعالى – هو المدبر والمهيمن وصفاته – تبارك وتعالى- لها فاعليتها التي لا تتغير ولا تتبدل، بل هي صفات إيجابية عاملة في المخلوقين أجمعين، ومن ضمن الخلق تلك الأسباب، وقد أوضح القرآن الكريم أن الله – تبارك وتعالى- الفعال لما يريد قد يجعل سبب العسر ذاته سبباً حقيقياً لليسر، فالنار التي خلقها الله — تعالى- للإحراق، والتي استغلها الكافرون في عدائهم لمنهج الله – تبارك وتعالى – وأرادوا أن تكون وبالاً على نبي الله إبراهيم هي هي التي جعلها الله – تبارك وتعالى- سبباً لسلامة إبراهيم ونجاته: [قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ، قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ]الأنبياء ٦٨: ٧٠ أي جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا بَرْدًا يَرْفَعُ حَرَّهَا، وَحَرًّا يَرْفَعُ بَرْدَهَا، فَصَارَتْ سَلَامًا عَلَيْهِ، قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: وَلَوْ لَمْ يَقُلْ[بَرْداً وَسَلاماً] لَكَانَ بَرْدُهَا أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ حَرِّهَا، وَلَوْ لَمْ يَقُلْ" عَلى إِبْراهِيمَ" لَكَانَ بَرْدُهَا بَاقِيًا عَلَى الْأَبَدِ (١) وفي بيان أن سبب العسر تبدل سبباً لليسر ورد الأثر عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، فَقَالَ: كَانَ فِيهَا إِمَّا خَمْسِينَ وَإِمَّا أَرْبَعِينَ،

١ ـ تفسير القرطبي ١١/ ٣٠٤، وتفسير الطبري ١٦ / ٣٠٧

قَالَ: مَا كُنْتُ أَيْامًا وَلَيَالِيَ قَطُّ أَطْيَبَ عَيْشًا إِذْ كُنْتُ فِيهَا وَدِدْتُ أَنَّ عَيْشِي وَحَيَاتِي كُلَّهَا مِثْلُ عَيْشِي إِذْ كُنْتُ فِيهَا (١).

٣- **تحويل العسر ذاته أو أحد مقوماته إلى أسباب قوة للمؤمنين وصولاً لتيسير أحوالهم:** فالله – تعالى – هو المدبر للأمر، ولذا حين يريد شيئاً يهيء له أسبابه، ولذا فإن قد تكون الأساب المادية التي تمثل أسباباً للعسر قد يجعلها الله – تعالى لأوليائه وأصفيائه مقوماً من مقومات التيسير عليه، في الوقت الذي تكون فيه تلك المقومات نفسها سبباً من أسباب العسر على أعدائهم المناوئين من الكافرين، فمثلاً **الماء** الذي أهلك الله – تعالى – به قوم نوح هو نفسه الماء الذي كان سبب إسعاد نبي الله وشيعته من المؤمنين، **والمطر** الذي تنزل على نبي الله محمد – ﷺ – في معركة بدر كان لتثبيت أقدام المؤمنين، وإذهاب غمهم وهمهم:[إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ، إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ] الأنفال ١١، ١٢، قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: " **وأما الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ إِنَّمَا هِيَ فِي سِيَاقِ قِصَّةِ بَدْرٍ، وَهِيَ دَالَّةٌ عَلَى وُقُوعِ ذَلِكَ أَيْضًا وكأن ذلك كائن لِلْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ شِدَّةِ الْبَأْسِ لِتَكُونَ قُلُوبُهُمْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً بِنَصْرِ اللَّهِ،** وَهَذَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ورحمته بهم ونعمته عَلَيْهِمْ وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً [الانشراح: ٥- ٦] (٢)، وقد ورد في الصحيح عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ – ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ» فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ:[سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ] [القمر: ٤٥](٣).

١ - تفسير ابن كثير ٥/ ٣٠٩
٢ - تفسير الإمام ابن كثير ٤/ ٢٠
٣ - صحيح البخاري ٥/ ٧٣ حديث رقم ٣٩٥٣

- ومن ذلك أيضاً ما فعله الله – تبارك وتعالى- في قصة إيمان سحرة فرعون الذين مثلوا أسباب قوته وعزته، فأحال الله – تعالى – قلوبهم للإيمان فكان في ذلك التيسير على المؤمنين:[وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ]الأعراف ١١٧: ١٢٦

٤- **تربية المؤمنين أن المعركة الحقيقية للحق والباطل هي مع الله – تبارك وتعالى، وأنه – تبارك وتعالى يدبرها بذاته:** فإن الحق – تبارك وتعالى- أبان أنه على المؤمنين أن يقدموا إيمانهم – أولاً – لله – تعالى، وأن يعدوا من العدة ما استطاعوا فإن فعلوا كانت خيوط المعركة بيده يفصلها وفق مشيئته ليدخل اليسر على المؤمنين، فإذا فعلوا ذلك استحقوا تيسير الله أمورهم كما قال – تعالى:[وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ] محمد ٤: ٧، وكما أورد – تبارك وتعالى- فعله في مثل هذه المعارك في تاريخ الصراع بين الحق والباطل كقوله تعالى: [فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ **قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ] الشعراء ٦١: ٦٣ وكما قال – تعالى- في الحديث عن موقف النبي الخاتم يوم الهجرة:[إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ **نَصَرَهُ اللَّهُ** إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ

الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ]التوبة ٤٠، وكما قال تعالى: [الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ، الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ] آل عمران ١٧٢، ١٧٣.

****

رابعاً: منهجية العمل الدائم للآخرة، والرغبة إلى ما عند الله - تعالى [فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ، وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ]:

وتقوم معالم هذه المنهجية القرآنية على المنطلقات التالية:

- **المنطلق الأساسي لخلق آدم، وتقدير نزوله الأرض إنما يقوم على عمارة الأرض، وتحقيق واجب الخلافة باسم الله تعالى** ؛ لقول ربنا – تبارك وتعالى:[وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ] البقرة ٣٠، وقوله – تبارك وتعالى– في حق نبي من أنبيائه وهو داوود عليه السلام:[يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ]ص ٢٦.
- **وهذه العمارة يجب أن تكون باسم الله وعلى منهج الله – تعالى، وإلا صارت تلك العمارة وبالاً على أصحابها:** [فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا]طه ١٢٣
- **كذلك يجب الحرص في تلك العمارة على أن تكون بالإصلاح والبعد كل البعد عن إفساد الأرض:** [يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ **وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ**]هود ٦١ [وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ] الأعراف ٥٦،:[وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] الأعراف ٨٥.

- **والتصور الإسلامي العام في مسألة التعمير والعمل في هذه الحياة الدنيا مبني على شمولية العبادة في الإسلام** ؛ فالمسلم حتى وهو يعمل لدنياه مبتغياً بذلك وجه الله – تعالى – يكون في تحقيقٍ تامٍ لمفهوم العبادة الشامل، وهي التي عرفها العلماء **بأنها القيام بكل ما يحبه الله ورسوله**، منطلقاً في ذلك من قول الله – تعالى: [قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ] الأنعام ١٦١: ١٦٣، ومحققاً بذلك سنة النبي محمد – ﷺ- في أن كل ما يقوم به المسلم من عمل في الحياة موافق لشرع الله متطلعاً فيه المسلم لوجه الله – تعالى- فهو مأجور عليه ؛ كما ورد في الحديث الصحيح عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ النَّبِيُّ – ﷺ – يَعُودُنِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ يَمُوتَ بِالأَرْضِ الَّتِي هَاجَرَ مِنْهَا، قَالَ: « يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ عَفْرَاءَ »، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُوصِي بِمَالِي كُلِّهِ؟ قَالَ: «لاَ»، قُلْتُ: فَالشَّطْرُ ؟ قَالَ: «لاَ»، قُلْتُ: الثُّلُثُ ؟ قَالَ: «فَالثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ، إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِي أَيْدِيهِمْ، **وَإِنَّكَ مَهْمَا أَنْفَقْتَ مِنْ نَفَقَةٍ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ، حَتَّى اللُّقْمَةُ الَّتِي تَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِكَ، وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَكَ، فَيَنْتَفِعَ بِكَ نَاسٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ**»([1]).

- **كذلك العمل للآخرة في تصور الإنسان المسلم هو عملٌ ممتدٌ طالما يستطيع ذلك**، وهو مأمور بذلك طالما في الجسد عرق ينبض، ولذا كان تصور الصحابة حول هذا الأمر ما ورد عن عبدالله بن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه وعن أبيه–أنه كان يقول: [احْرِزْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا ، وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا] ([2]).

---

١ - حديث صحيح رواه البخاري في صحيحه ٣/٤، حديث رقم ٢٧٤٢.
٢ - بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ٢/ ٩٨٣ رقم ١٩٣ المؤلف: أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي، البغدادي الخصيب المعروف بابن أبي أسامة (المتوفى: ٢٨٢هـ)، المنتقي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧ هـ)، المحقق: د. حسين أحمد صالح الباكري

- **والتصور الثابت في اعتقاد المسلم وفقا للكتاب الكريم بالنسبة للمجازاة بالعمل هو أن الإنسان مجزي بعمله هذا إن خيراً كوفيء خيراً، وإن شراً فشر:** [لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا]النسا ١٢٣، [قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا] الإسراء ٨٤، [وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ]، [فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ] الزلزلة ٧، ٨.

- **والعمل في الإسلام يقتضي الموازنة بين العمل الدنيوي والعمل الأخروي، وتجويد الأعمال وإحسانها على أفضل حال، ومخاصمة الفساد والمفسدين دوماً،** ولا يكون ذلك إلى بالرغبة إلى الله – تعالى: [وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ] القصص ٧٧.

- **العمل المطالب المسلم به في هذه الحياة الدنيا إنما هو العمل الجاد، والبعيد كل البعد عن العبث، والعبثية:** [أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ]المؤمنون ١١٥، ١١٦، ولقوله تعالى: [وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ] الأنبياء ١٦، ١٧، ولقوله عز من قائل: [وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ] الدخان ٣٨، ٣٩ في بيان صريح لضرورة قيام المسلم بالجد في حياته والبعد عن العبث واللعب في أي أمر من الأمور، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: " أَنَّهُ مَرَّ عَلَى رَجُلَيْنِ يَتَصارَعَانِ، فَقَالَ لَهُمَا: مَا بِهَذَا أُمِرْنَا بَعْدَ فَرَاغِنَا

"، وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: " إِنِّي لَأَكْرَهُ لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَكُونَ خَالِيًا سَبَهْلَلًا([1]) لَا فِي عَمَلِ دُنْيَا وَلَا دِينٍ " وَلِهَذَا لَمْ يَشْكُ الصَّدْرُ الْأَوَّلُ فَرَاغًا فِي الْوَقْتِ ([2]).

- **أوضح القرآن الكريم جلياً القيمة الحقيقية بالنسبة للحياة الدنيا حتى لا يتعلق المخلوق بالعاجل على حساب الآجل بل يبتغي بكل ما يفعل وجه الله – تعالى– ناصباً بين يديه راغباً إليه، كما هو واضحٌ في الآيات التالية:**

١- أن **الحياة الدنيا ما هي بالنسبة للآخرة إلا متاع زائل** يغتر به الإنسان على حساب المتاع الباقي الذي لا يكون إلا في الآخرة، ما يؤدي بالضرورة بالمسلم إلى الرغبة فيما عند الله تبارك وتعالى:[وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ] آل عمران ١٨٥

٢- أن **كل ما في هذه الحياة الدنيا ما هو إلا عبث،** ولهوٌ عن الهدف الرئيس الذي لأجله خلق الله – تعالى- الإنسان وأسكنه الأرض، وأسجد له الملائكة وسخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه، وأن الآخرة هي خير لمن يؤثرونها على الدنيا الزائلة بمتاعها الزائل:[وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ] الأنعام ٣٢، ومثل ذلك أيضاً بيان أن كل ما يفعله الناس في هذه الدنيا ما هو إلا كتلاعب الصبيان ساعةً من نهار كما قال:[وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ] العنكبوت ٦٤، والتعبير بقوله:" وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ " أي: الحياة الحقيقية لأنها دائمة، والحيوان: مصدر، وقياسه: حيَيَان، فَقَلَبَ الياءَ الثانية واواً. ولم يقل: لهي الحياة لِمَا في بناء فَعَلَان من معنى الحركة والاضطراب، والحيوان: مبالغة في

---

١ – **سبهللاً**: أي: فارغ العقل لا يدري ماذا يفعل ولا ما هو مطلوب منه، أنظر تهذيب اللغة ٥/ ٢١٠، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م

٢ – انظر / تفسير الأوسي ١٥ / ٣٩٢، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٨ / ٥٧٩، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ

الحياة، كما قيل: للموت الكثير: مَوَتَان، لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ حقيقة الدارين لَمَا اختاروا اللهو الفاني على الحيوان الباقي([1]).

٣- **حرص القرآن الكريم على البعد عمن ألهتهم الحياة الدنيا عن الآخرة**، والتعلق بما يذكر الإنسان بالحياة السرمدية الأبدية: [وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا] الأنعام ٧٠

٤- أبان القرآن الكريم أن من انشغل بالدنيا على حساب الآخرة، وانغمس وتلهى بها ونسي الحياة الحقيقية يكون جزاؤه من جنس عمله وهو أن ينساهم الله – تعالى- كما نسوا لقاء الله – تعالى: [الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ] الأعراف ٥١

٥- يستنفر الله تعالى المؤمنين لتقديم أرواحهم فداء لهذا الدين، ولا يقوم بهذا الواجب إلا من فضل الآخرة على الفانية، ذلك أن متاع الحياة الدنيا مهما كان فإنه لا محالة في متاع الآخرة الحقيقي متاع زائل وفانٍ، كما ورد في الحديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: " يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنَ الْكُفَّارِ، فَيَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: اغْمِسُوهُ غَمْسَةً فِي النَّارِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ نَعِيمًا قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ الْمُؤْمِنِينَ ضُرًّا، فَيَقُولُ: اغْمِسُوهُ غَمْسَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ ضُرًّا قَطُّ؟ – أَوْ مَسَّكَ بَلَاءٌ قَطُّ؟ – فَيَقُولُ: لَا " ([2])، ومن لم يفعل ذلك فقد استنكر الله – تعالى – عليه ذلك: [أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ] الأنفال ٣٨

٦- في بيانٍ بليغٍ صريحٍ أبان الحق – تعالى- أن متاع الحياة الدنيا لا محالة زائلٌ، ولتقريب هذا المعنى استخدم الحق – تبارك وتعالى – أسلوب التشبيه بالنسبة لمتاع الحياة الدنيا كأنه النبات الذي يخضر ثم يهيج ثم يكون حطاماً حصيداً كأن لم يكن:[إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا

١ - البحر المديد في التفسير ٣١٩/٤
٢ - الزهد والرقائق لابن المبارك ١/ ٢٢٠

فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] يونس ٢٤، ومثله أيضاً قول الله – تعالى: [وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا] الكهف ٤٥

٧- الصنف الوحيد المستحق لتحصيل متاعٍ حقيقيٍّ في الدنيا هم من حققوا أركان الولاية لله رب العالمين، وهؤلاء يستبشرون في الحياة الدنيا بجزء مما أعد لهم في الآخرة:[أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] يونس ٦٢: ٦٤

٨- قد ينفع عند نزول العذاب في الحياة الدنيا العمل الصالح والتضرع لله رب العالمين بأن يكشف الله – تبارك وتعالى الضر عمن أصابهم بذنوبهم:[فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ] يونس ٩٨

٩- جعل الله – تعالى – مطلق الاختيار للبشر في اختيار ما يحلو لهم: إما متاع الحياة الدنيا وملذاتها ومتاعها الزائل مع عدم أداء حق الله تعالى، وإما العمل الصالح والذي ينتج الحياة الطيبة الآمنة المطمئنة، ولكن في الآخرة كل مجزي بعمله دون بخس أو ظلمٍ حاشا لله – تبارك وتعالى: [مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] هود ١٥، ١٦، ومثله أيضاً قول ربنا – تبارك وتعالى: [مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ]الشورى

١٠- ولفك الارتباط بين المفاهيم المغلوطة فيما يتعلق بالرزق، وأن من وسع له في رزقه بالضرورة أنه دليل على القبول والرضا من الله — تعالى- أبان الله أن قضية الرزق وبسطها وتقديرها إنما هو بتدبير وتقدير الملك المتعال الذي يبسط ويقدر وفق حكمته ومشيئته –

تبارك وتعالى- كما قال: [اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ] الرعد ٢٦، في بيان واضح أن سعة الرزق ليست دليل فلاح ولا مسارعة لمن بسط رزقه في الخيرات ؛ كقوله تعالى: [أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ] الْمُؤْمِنُونَ: ٥٥- ٥٦، وذلك أن الدنيا في الآخرة وزنها حقير، ومتاعها قليل ؛ كما ورد في الصحيح «وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ - وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَّابَةِ - فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟»(١) وكما ورد أيضاً عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - مَرَّ بِالسُّوقِ، دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيْبًا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: «فَوَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ» (٢).

١١- ولبيان عاقبة من يؤثرون الحياة الدنيا على منهج الله - تعالى، ولا يلقون بالاً للآخرة، ويحرصون على أن تكون الحياة الدنيا من حولهم تسير وفق مناهجهم المعوجة لا وفق منهج الله - تبارك وتعالى- خوف الله من عاقبة هؤلاء وأنهم في تيه لن يهتدوا إلى الصواب أبداً منه، قال - تعالى:[الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ]إبراهيم ٣

١٢- وفي أسلوب مخيف من الركون للحياة الدنيا وإيثارها على المتاع الأخروي أبان الحق أن أخطر ما يمكن أن يضرب به الله — تعالى- قلوب هؤلاء إنما هو الردة والكفر بعد الإيمان كفراً منطلقاً عن قناعةٍ ورضىً بالمتاع العاجل ؛ ما يؤدي بصاحبه والعياذ بالله — تعالى- إلى الغضب الإلهي عليه وحلول العذاب والنقمة ؛ قال - تعالى: [مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ

١ - صحيح مسلم ٢١٩٣/٤ رقم ٢٨٥٨ عن عَنِ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ، أَخِي بَنِي فِهْرٍ.
٢ - صحيح مسلم ٤/ ٢٢٧٢ رقم ٢٩٥٧

عَذَابٌ عَظِيمٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ] النحل ١٠٦، ١٠٧

١٣- ولبناء التصور الصحيح وفق المنهج الإلهي لا وفق ما تشتهيه النفوس أبان الله – تعالى- أن الأعمال الصالحة التي يبقى أثرها لآخرة الإنسان خيرٌ للمرء مما يُتوهم أن فيه الخيرية بقوله – تعالى:[الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا] الكهف ٤٦

١٤- وللتخويف من خطورة أمر الأعمال في حياة الإنسان، وأن على المرء أن يحرص كل الحرص على أن ينصب بالأعمال الصالحة لله – تعالى، ويرغب بها إلى وجه الله – تعالى – لا يشرك فيها مع الله أحداً غيره أوضح الله –تبارك وتعالى – أن هناك صنفاً من الناس قد يكون هو الأخسر في المصير تبعاً لانحراف تصوره بالنسبة لمصير أعماله، فهؤلاء يعملون أعمالا يتخيلون أنها تنجيهم وفي الحقيقة قد فسدت نتائج أعمالهم تبعاً لفساد منطلقاتهم: [قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا]الكهف ١٠٣: ١٠٦، **وكل ذلك يهيب بالمسلم دائما أن يسارع في الخيرات ولا يبغي بها إلا وجه الله** – تعالى، ومثلها أيضاً قول ربنا – تبارك وتعالى: [أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ] فاطر ٨

١٥- وحين تتضح حقيقة الحياة الدنيا وقصرها وحقارتها وزوالها، وحين تخالط بشاشة الإيمان قلوب المؤمنين، وحين يكون وجه الله – تعالى- هو المرغوب فيه أمام كل المغريات، وجميع المرهبات فإن ذلك يورث صاحبه عزة إيمانية يتحدى بها الباطل أجمعه في عنفوانه، وكبره، وتجبره، وجميع آلات بطشه كما حدث ذلك من سحرة فرعون الذين فرغوا من سحرهم فانتصبوا للإيمان بربهم والدفاع عن عقيدتهم الحقة، وتحدوا الباطل في شخصه الأشد

تجبراً وكبراً في تاريخ المعاندين: فـ[قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى] طه ٧١: ٧٣ حدث كل ذلك لرؤيتهم الحقيقية بعين الحقيقة للحقيقة الأزلية، والعقيدة السرمدية، والتي يجب أن تعتنقها القلوب، وتعقلها العقول،وتتشربها النفوس كي تفوز بالراحة والركون إلى من بيده الراحة، **إنها حقيقة:" وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**".

١٦- وفي معرض بيان المعينات الأساسية على تحمل الحرب الإعلامية التي يواجهها حملة هذا الدين جعل الله – تبارك وتعالى من بينها عدم التطلع والنظر لما متعهم الله – تعالى به من متاع الحياة الدنيا فتنةً لهم، وكل ذلك لا يكون إلا بالنظر والرغبة إلى الله – تبارك وتعالى–، ثم أبان أن رزق الله – تعالى خيرٌ وأبقى مماهؤلاء فيه ؛ فقال: [وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ **وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى**] طه ١٣١

١٧- وفي مقارنة كاشفة بين المتاع العاجل، والعطاء الباقي يكشف القرآن الكريم في قاعدة ذهبية أنه مهما أوتي الإنسان من متاع في هذه الحياة الدنيا فإنه لا يرقى بحال من الأحوال للمقارنة بما يكون عند الله — تعالى– لمن رغبوا إليه، ونصبوا أنفسهم بين يديه على كل حال في تعبير واضح صريح أن:" **وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ**": [وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا **وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ** أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ] القصص ٦٠، ٦١

١٨- وفي بيان طبيعة النفوس البشرية وأنها مفطورةٌ على حب الشهوات والمتاع العاجل أبان الله – تعالى – أن من يستحبون الحياة الدنيا على الأخرة، ويريدون الدنيا وزينتها هم أسرع الناس فتنةً بزخرفها ؛ حتى إن ذلك ليمسخ قيمهم وتصوراتهم ومعاييرهم في وزن الأمور فيسارعون إلى الشهادة لمن حاز زخرفاً وظاهراً من الحياة الدنيا بأنه محظوظ حظاً عظيماً، وأما حين تكون الموازين والمعايير والتصورات متفرعةً عن الإيمان بالله — تعالى– فإنها لا تزلزلها تلك

الزخارف، ولا تمسخها تلك الشهوات بل يكون ميزانها الثابت للأمور متفرعاً عن التصورات الإلهية في القضايا المختلفة ويكون الحكم هو: " **ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا** ": [فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ **ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ**] القصص ٧٩، ٨٠.

– وهكذا يتضح أن هذه المنهجية القرآنية هي **منهجية عملية أكثر منها منهجية تأطيرية تنظيرية**، ذلك أن الله – تبارك وتعالى- يريد عباده المؤمنين عاملين في سبيل القيام بالتشريع الذي ارتضاه مصلحاً لهم في شئونهم الحياتية والأخروية كي يسعدوا بالدارين ؛ تحقيقاً للوعد الأبدي الذي وعد الله – تبارك وتعالى- به أبا البشر آدم – عليه السلام – بقوله: **[فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى]** طه ١٢٣ نسأل الله – تعالى- أن يجعلنا ممن يرغب إليه وينصب قياماً وعبادةً بين يديه، والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً وسلام على المرسلين.

****

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وبعد هذه السياحة القصيرة في كتاب الله – تبارك وتعالى – في صحبة هذه السورة العظيمة من سوره الكريمة اتضح ما يلي:

١- القرآن الكريم هو كتاب الهداية الذي لفت أنظار المؤمنين منذ نزل للقيمة العظيمة للنبي محمدٍ – ﷺ لدى خالقه – تبارك وتعالى.

٢- أبانت دراسة هذه السورة عن ما للنبي الخاتم من مكانة وقيمة كبرى لدى خالقه – تبارك وتعالى ؛ لذا بانت الحفاوة الكبرى به في شرح صدره، ورفع ذكره في العالمين.

٣- تبين أن هذه السورة جاءت كالمتممة لما قبلها — سورة [والضحى] في بيان النعم والمنح العظمى من الكريم — تبارك وتعالى — على وليه وحبيبه ومصطفاه محمدٍ — ﷺ- والممهدة للسورة بعدها [سورة والتين] والتي جاءت كالتمهيد للتكليف الإلهي للمؤمنين قياماً بحق شكر الله – تعالى ؛ حتى ينتظم المؤمن في سلم الوصول لأعلى مقام أراده الله — تعالى- للإنسان وهو المذكور في سورة والتين بقوله:[لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ]والتين ٤ .

٤- أن الهم مهما تكاثر على المؤمنين فإن الله – تبارك وتعالى- لا محالة وعدهم بكشفه، وشرح صدورهم بهذا الدين.

٥- أن للذنب أثراً خطيراً على الإنسان المؤمن وهو أن له ثقلاً يجعل النفس تعيش في كرب شديد، ويجعل الظهر يعيش في نصب أكيد ما لم ينعم الله – تبارك وتعالى – على عبده بوضع هذا الوزر عنه.

٦- أن هذا الدين يرفع الله- تعالى- مقام من قام به في العالمين، وخير مثال لذلك هو المقام الرفيع الذي بلَّغه الله – تعالى نبيه محمداً – ﷺ، وصدق الله – تعالى:[وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ]الشرح ٤ وأوجه رفع الله — تعالى- ذكر النبي محمدٍ متنوعة، فقد أعلى

ذكره في الملأ الأعلى، وفي الأرض، وفي اللوح المحفوظ من قبل أن يوجد النبي خَلقاً وفي هذا الوجود كله.

٧- أن هناك وعداً أكيداً حُقّ لكل مسلم أن يستبشر به، ولا يقنط أبداً مهما تكاثرت عليه الهموم، أو تدافعت نحوه المصائب وهو:[فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا] الشرح ٥، ٦.

٨- الواجب على المؤمنين أن تصير حياتهم كلها جداً لا لعب فيه، وعملاً لا كسل معه، وكداً لا راحة دونها ؛ إعمالاً لتكليف الله - تعالى - حبيبه محمد - ﷺ - بقوله:[فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ، وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ]الشرح ٦، ٧، وبعد فهذا مما من الله - تعالى - به علينا في النظر في هذه السورة الكريمة، أسأل الله — تعالى- أن يجعلها في موازيننا يوم العرض عليه، [وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] الصافات ١٨١، ١٨٢

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

****

قائمة المراجع التي تم الاستعانة بها في البحث

١- القرآن الكريم

٢- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

٣- الإتقان في علوم القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

٤- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

٥- الإيمان لابن منده، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦

٦- البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ

٧- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ

٨- البيان في عدّ آي القرآن، المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، المحقق: غانم قدوري الحمد،الناشر: مركز المخطوطات والتراث – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٩- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، عدد الأجزاء: ٣٠ (والجزء رقم ٨ في قسمين)

١٠- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

١١- ١ - الجامع الكبير - سنن الترمذي، وقال الترمذي حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م.

١٢- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.

١٣- الزهد والرقائق لابن المبارك (يليه «مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي نُسْخَتِهِ زَائِدًا عَلَى مَا رَوَاهُ الْمَرْوَزِيُّ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ»، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح

الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (المتوفى: ١٨١هـ) المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت
١٤-السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٥ م
١٥-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ
١٦-المحكم والمحيط الأعظم، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٧-المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠
١٨-المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ = صحيح مسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٩-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.
٢٠-المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة.
٢١-الناسخ والمنسوخ، المؤلف: أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقري (المتوفى: ٤١٠هـ)، المحقق: زهير الشاويش ، محمد كنعان، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ
٢٢-إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩١م
٢٣-بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
٢٤-بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، المؤلف: أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي، البغدادي الخصيب المعروف بابن أبي أسامة (المتوفى: ٢٨٢هـ)، المنتقي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧ هـ)، المحقق: د. حسين أحمد صالح الباكري
٢٥-تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي،الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠١ م

٢٦-تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، المؤلف: محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨هـ)، المحقق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، الناشر: مكتبة السنة - القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ - ١٩٩٥

٢٧-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

٢٨-زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م

٢٩-سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف).

٣٠-غريب الحديث، المؤلف: إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق [١٩٨ - ٢٨٥]، المحقق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ

٣١-لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ

٣٢-مستخرج أبي عوانة، المؤلف: أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري الإسفراييني (المتوفى: ٣١٦هـ)، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م

٣٣-مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، بتحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرين،الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

٣٤-مسند الشهاب، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (المتوفى: ٤٥٤هـ) المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٦

٣٥-معجم اللغة العربية المعاصرة، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

٣٦-معجم القواعد العربية، المؤلف: عبد الغني بن علي الدقر (المتوفى: ١٤٢٣هـ).

٣٧-مفاتيح الغيب:التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ

٣٨-موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: محمد عبد الرزاق حمزة، الناشر: دار الكتب العلمية.

٣٩-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

****

الفهرس العام للبحث

م	الموضـــــــــوع	الصفحة
١	المقدمة	٨٠٥
٢	التمهيد	٨٠٨
٣	تعريف عام بالسورة، وبيان مقاصدها	٨٠٨
٤	نزولها، والمعاني الخاصة بتلك الفترة	٨٠٩
٥	علاقتها بما ورد قبلها وما ورد بعدها	٨١١
٦	الفصل الأول، التفسير التحليلي، المقطع الأول: المنن الإلهية على النبي الأعظم- ﷺ-	٨١٥
٧	تفسير قوله - تعالى **[أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ]**	٨١٥
٨	تفسير قوله - تعالى:[**وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ]**	٨١٦
٩	تفسير قوله - تعالى **[وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ]**	٨١٩
١٠	المقطع الثاني من السورة: من أعظم نعم الله ملازمة اليسر للعسر.	٨٢٢
١١	تفسير قوله – تعالى:[**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا]**	٨٢٢
١٢	**المقطع الثالث من السورة: توجيه النبي إلى هيئة شكر الله**	٨٢٤
١٣	تفسير قوله – تعالى: **[فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ]**	٨٢٥
١٤	تفسير قوله - تعالى [**وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ]**	٨٢٧
١٥	**الفصل الثاني: المنهجيات القرآنية الواردة في السورة الكريمة**	٨٢٨
١٦	**التمهيد: حول المقصود بالمنهجية القرآنية**	٨٢٨
١٧	منهجية شرح صدور المؤمنين بالإيمان بهذا الدين	٨٣١
١٨	كيفية تحقيق منهجية شرح الصدر	٨٣٣
١٩	مظاهر انشراح الصدر	٨٣٩
٢٠	منهجية رفع الذكر لمن آمن واهتدى	٨٤٠
٢١	**أركان تحقيق هذه منهجية رفع الذكر**	٨٤٥
٢٢	منهجية غرس اليقين بتبديل عسر المؤمنين يسراً	٨٤٦
٢٣	صور عرض القرآن الكريم لهذه المنهجية	٨٤٧
٢٤	الطريقة الإلهية لتحقيق هذه المنهجية	٨٥١
٢٥	منهجية العمل الدائم للآخرة، والرغبة إلى ما عند الله	٨٥٥
٢٦	الخاتمة	٨٦٥
٢٧	قائمة المراجع	٨٦٧